

# دراسات اشتراكية

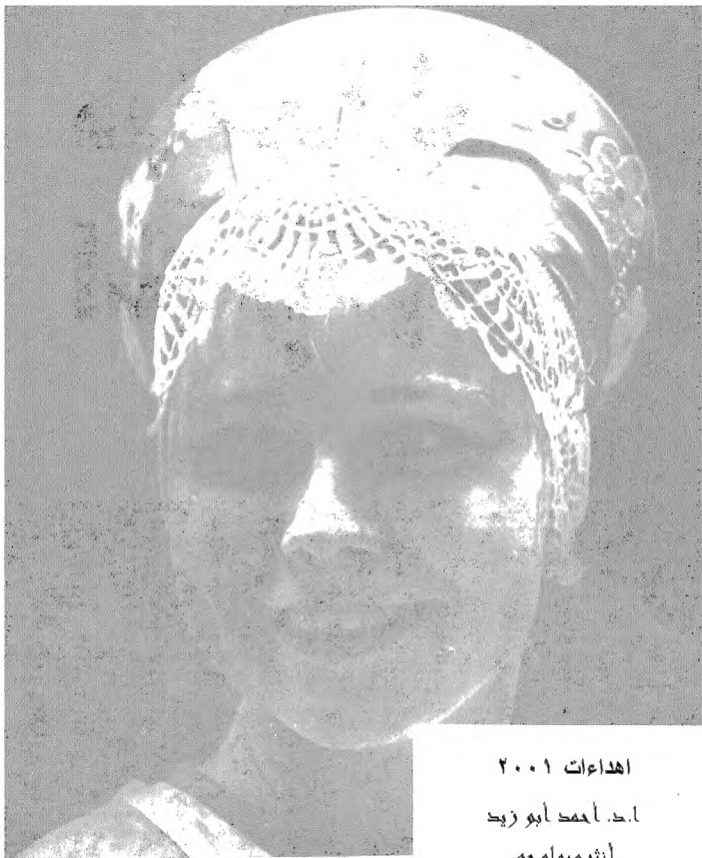
- الهند.. الحاضر والمستقبل
- الطبقة العاملة في قبرص
- النظرية والتطبيق
- جزء خاص عن:

الفكر الاجتماعي  
عند علي مبارك

السنة السابعة



أغسطس ١٩٧٨



اهداءات ٢٠٠١  
 ا.ح. أحمد أبو زيد  
 أنثروبولوجي

● الراقصه نانتاليا د مونيكو ●  
 مهرجان الشباب العالمى - يوليو ١٩٧٨



# دراسات اشرالية

مجلة شهرية • تصدر عن دار الهلال • السنة السابعة "٨" • أغسطس ١٩٧٨

## ● رسالة نيودلهي :

الهند : الحاضر والمستقبل ..... ٢

## ● الدراسة الاولى :

جنوب افريقيا الثورة في صعود ..... ١٧

## ● الدراسة الثانية :

التكوين الفكرى للطبقة العاملة فى اليونان ..... ٣٦

## ● الدراسة الثالثة :

الموقف من العداء للشيوعية ..... ٣٥

## ● دراسة نظرية :

الماركسية : النظرية والتطبيق ..... ٥٠

## ● دراسات فى التراث :

الفكر الاجتماعى عند على مبارك ..... ٦٢

● مكتبة دراسات : ..... ٧٨

● أحداث الشهر : ..... ٨١

● سينما المخرجات العرب ..... ٨٢

● شريط الانباء ..... ٨٩

## الهند الحاضر والمستقبل

بقلم: راجيسوارا راو

التقى المؤتمر الحادى عشر لحزبنا « بهاتيندا » ٣١ مارس  
١٩٧٨ « فى غمرة تغير هائل فى المسرح السياسى  
القومى بكامله ، وسبقته فى العام الماضى انتكاسة انتخابية  
خطيرة للحزب الذى تولدت بداخله مناقشات جادة على كافة  
المستويات . وتقدم أعداؤنا الطبقيون ، الذين لم يدركوا  
اطلاقا غرض مناقشتنا ، تنبؤات فجأة عن انقسامات وشيكة  
فى الحزب الشيوعى الهندى .

ووضع المؤتمر حنا لكل تخمينات معارضينا بالتوصل الى  
الاجماع حول معظم المسائل المطروحة للنقاش . وعززت  
مداولاته بدرجة اكبر من وحدة الحزب .

وكان المؤتمر كذلك اكبر مؤتمر يعقد فى تاريخ حزبنا . فقد حضره ١٥٥٤ وفيقا ، منهم ١١٦٦ مندوبا و ١٩٨ مندوب احتياطى يمثلون ٧٣٢٠٥٤ عضوا حزبيا . وقد ادرك أنصار حزبنا والمتعاطفون معه كذلك المغزى الهام للمؤتمر ، عندما توافد عشرات الآلاف للمشاركة فى الاجتماع الجماهيرى الذى عقد فى اليوم الختامى للمؤتمر .

ان مشاركة ٣٣ مندوبا من الاحزاب الشقيقة للبلدان الاشتراكية وغير الاشتراكية والرسائل العديدة التى تلقيناها ممن لم يستطيعوا ارسال مندوبيهم ، قد أثارت فى رفاقنا شعورا بالانتماء الى الحركة الدولية العظيمة للشيوعيين ، القوة القائدة فى اعادة تشكيل العالم وفق خطوط ثورية . كما أكدت كذلك الاممية التى يعتز بها اعضاء حزبنا كأحد صفاتهم التى يعتزون بها .

وحل المؤتمر الوضع السياسى الحالى والافق المشرق لتقدم الحركة الثورية فى بلادنا . وكشف كذلك الاخطاء التى أدت الى انتكاسة حزبنا فى الماضى القريب .

ان طريق التطور الراسمالى الذى انتهجته حكومة المؤتمر القومى الهندى منذ الاستقلال عام ١٩٤٧ ، رغم نمو اقتصاد مستقل وقطاع عام بمساعدة الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الأخرى ، قد دخل فى ازمة عميقة مع عام ١٩٤٧ ، وصقلت الى قمته بقبول املاء البنك الدولى للتعيم والتنمية (١) واعلان حالة الطوارئ فى يونيو ١٩٧٥ .

واستبدال حكومة انديرا غاندى بحكومة حزب جاناتا فى دلهى وفى عدد من الولايات لم يخفف من هذه الازمة . وعلى العكس ، فقد زادت حدة الازمة لان حكومة حزب جاناتا تنقض بشكل منتظم السياسة المقبولة قوميا والتى تقوم على تخطيط التنمية الاقتصادية ، وتوسيع القطاع العام ، وتطوير الصناعات الحديثة ، وتحسين التكنولوجيا الهندية . وهى تعطى الاولوية للصناعة الصغيرة والحرف والزراعة . ويسمح لتجار الجملة والاحتكاريين بنهب الفلاحين والمستهلكين على السواء باسم « اقتصاد السوق الحر » . وجمد تنفيذ قوانين الحد الاعلى للملكية الارض ، وبالإضافة الى ذلك ، أصبحت هجمات أغنياء الفلاحين على الهاريجانز وغيرهم من فقراء الريف شعار الساعة . ووصل اطلاق الرصاص بشكل وحشى على

---

(١) فى صيف ١٩٧٢ خضعت حكومة انديرا غاندى لطلب البنك الدولى للتعيم والتنمية بأن تفسح الهند اقتصادها على أسس «صحية» - الحر

العمال أبعدا جديدة لغرض وقف النضال ، واغلاق المصانع وتجميد الاجور وهو ما مارسه أصحاب الاعمال بشكل متزايد :

وسياسة حزب جانانا اذا ما اخذت في مجموعها تمثل احتياجات ومطامح البرجوازية الكبيرة الهندية التي تشعر الآن بالثقة في مواصلة تكديس الارباح بالتعاون حتى كاشريك اصفر مع الاحتكاريين الاجانب وتسخير قطاع الدولة لاحتياجات توسعها وتقدمها الخاص . وفي القطاع الزراعي ، تخدم سياسة حزب جانانا مصالح كبار الملاك واغنياء الفلاحين وفي مجال التجارة تسعى حكومة حزب جانانا لخدمة البرجوازية التجارية الكبيرة باخلاص ، من تجار الجملة ، واصحاب المخازن الكبيرة ، الخ . وتعكس سياسة حزب جانانا المناورات التكتيكية الجديدة للبرجوازية الكبيرة الهندية وكبار الملاك ، الذين يحاولون حل أزمة الطريق الرأسمالي بالقاء عبثها على الجماهير وقمع المقاومة الشعبية باللجوء المتزايد الى العنف والتسلط .

وفي ظروف الازمة الحادة للنظام الرأسمالي هذه ، احتاجت حكومة حزب جانانا الى عام واحد فقط لكي تصل الى نفس المآزق الذي وصلت اليه حكومة المؤتمر بعد ثلاثين عاما . ونفس حظر التسلط الذي قسم البلاد في الايام الاخيرة من نظام انديرا غاندي يخيم اليوم لدرجة كبيرة على الافق السياسي الهندي . ولذلك يشير القرار السياسي لمؤتمر الحزب في بهاتيندا بشكل صريح الى : « ان أزمة طريق التطور الرأسمالي والسياسة الطبقة البرجوازية قد تعمقت لدرجة لا يستطيع معها أي حزب برجوازي ان يخلص البلاد من الازمة او ينقذ شعبنا من التسلط وتحطيم الحقوق الديمقراطية » .

ومن الممكن ادراك خطورة الازمة الاقتصادية والسياسية في بلادنا على وجه سليم فحسب عندما ترى على خلفية الازمة المتصلة للاقتصاد الرأسمالي العالمي والتكتيكات الجديدة للامبريالية التي تهدف الى فرض سيطرتها الاستعمارية الجديدة على البلدان النامية .

ففي الوقت الذي لا يتخلى الامبرياليون عن تكتيكاتهم القديمة تماما ، يتبنون تكتيكات جديدة لنقل عبء الازمة على اكتاف البلدان النامية . انهم وقد فشلوا في وقف النمو الصناعي في هذه البلدان ، يحاولون تشجيع رأسمالية « تابعة » لهم ، او مايسمى باقتصادات ذو « توجه تصديري » و « تواجه زراعي » . ويستخدم الامبرياليون كذلك دولا معينة مناسبة في

مختلف المناطق كعملاء يعتد بهم لتنفيذ تكتيكاتهم الجديدة . وهم بذلك يحاولون تقويض التعاون بين بلدان الأسرة الاشتراكية وبلدان « العالم الثالث » . ويتعاون قادة الصين الماويين الحاليين تعاوناً تاماً مع الامبرياليين فى هذا المضمار .

ورغم العقبات التى وضعها الامبرياليون فى طريق بلادنا ، فقد حققت تقدماً هاماً نحو الاعتماد الاقتصادى على النفس بمساعدة الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى . والهند اليوم فى وضع يسمح لها بمساعدة البلدان النامية الاخرى فى مجال التنمية الصناعية . ان علماءنا ومهندسينا وتكنيكيينا هم مفخرة بلادنا . ونتيجة لكل ذلك ، زادت هيبة بلادنا بين البلدان النامية .

ولذلك يلجأ الامبرياليون الى حيلة اخرى لاحتواء بلادنا فى خطتهم العالمية . وهم يقرون احتكارينا بالدخول فى مفامرات مشتركة مع الاحتكارات متعددة الجنسية كشريك اصغر لاستغلال بلدان « العالم الثالث » . والاحتكاريون الهنود ، وقد اغتنوا خلال الثلاثين عاماً الماضية بنهب شعب بلادنا ، يبدون الآن متحمسين لافق نهب شعوب « العالم الثالث » بالتعاون مع الاحتكارات متعددة الجنسية . وفى ذلك يكمن خطر جاد على مستقبل بلادنا .

والقسم المسيطر على حكومة حزب جانانا يميل الى ذلك . وقد تجبر الحكومة على الوقوع فى هذا الفخ اذا لم تتيقظ القوى اليسارية والديموقراطية . وهناك دلائل بالفعل تبين ان الحكومة مشغولة بتصحيح ما يسمى « باتجاه » سياستنا الخارجية فى الوقت الذى تحتفظ فيه باطار عدم الانحياز . وهذا يعنى ان المحتوى المعادى للامبريالية لسياستنا الخارجية يخفف منه وتبدل المحاولات لاضعاف صلاتنا بالبلدان الاشتراكية (١) .

وازمة السلطة السياسية تجلب عدم الاستقرار السياسى فى بلادنا . وحزب جانانا الحاكم تمزقه النزاعات بين الجماعات ويفرق فى صراع حاد

---

(١) وبهذا الهدف فى الاعتبار ، قام زعماء البلدان الرأسمالية الغربية اخيراً بزيارة بلادنا بدواً بالرئيس جيمى كارتر ورئيس وزراء بريطانيا جيمس كالاغان ، ومن بينهم اورفيل فريمان مندوب البنك الدولى وغيرهم الزعماء . وتتزايد الضغوط القوية على بلادنا فى هذا الاتجاه يوماً بعد يوم .

ويدور الحديث حول انقسام فى حزب جانانا • وما يحافظ على تماسكهم فى الوقت الحاضر هو عودة ظهور أندبرا غاندى على السرح السياسى بعد الانتصارات الباهرة لحزبها ، حزب المؤتمر القومى لاندبرا ، فى الانتخابات البرلمانية فى الولايات الجنوبية فى فبراير ١٩٧٨ •

وتجمع حزب جانانا يتكون من قوى غير منسجمة مع بعضها • فهناك ، فى جانب ، قوى علمانية ومعادية للامبريالية ، وفى الجانب الآخر ، قوى الطائفية والموالاة للامبريالية (١) وهناك سمة أخرى تزيد الأمور تعقيدا وهى الاندفاع المخطط والمثابر لائتلاف راشترىا سوامسيواك سانج (٢) ، الذى يضم جانا سانج وشابراى سنج لتوسيع سلطتهما ، على حساب الاقسام الأخرى المكونة لحزب جانانا ، داخل هذا الحزب والحكومة المركزية وحكومات الولايات والجهاز الإدارى • وحزب جانانا يفقد بسرعة ثقة الناس به ، وحتى بعض أنصاره يشككون فى قدرته على تحقيق مطالبهم •

ان مذابح العمال فى بيلادىلا وبانتناجار ، والهاريجانز فى بيسرامبور فى بيهار ، وأعمال الشعب الطائفية فى بيهار ، والهجوم المخطط ضد الأقلية المسلمة فى سامبهال فى أوتاربراديش ، والصدام بين طائفتين النيرانكارى والنيهانج فى امريتسار ، وفظائع البوليس الأخيرة فى أندرا براديش ، والقمع الوحشى لنضال الفلاحين فى تاميلنادا ، واضطرابات الطلاب وأغلاق عدد من الجامعات فى الولايات الشمالية ، كل تلك الأحداث التى جرت فى خلال شهر واحد « مارس - أبريل ١٩٧٨ » هزت البلاد • ودفعت رئيس الجمهورية لان يعرب من قلقه فى اجتماع عام ، حيث قال : « انا لا أعرف الى أين نسير • فانا شخصا لا أعرف رغم انى رئيس الجمهورية وأنى لأعرب عن أسفى ازاء حالة البلاد الصحية » •

وحزب المؤتمر منقسم على نفسه • فحزب المؤتمر الذى يرأسه سواران سنج يعانى من اضطرابات بعد التنكسات التى تعرض لها فى الانتخابات البرلمانية فى فبراير فى بعض الولايات • والاقسام اليسارية فى هذا الحزب تفكر فى بديل قومى يسارى وديموقراطى • واستطاعت اندبرا غاندى ، نتيجة لنجاحات حزبها فى الانتخابات البرلمانية فى الولايات ان

---

(١) العلمانية تقر بالطبيعة العلمانية للدولة • والطائفية فى ظروف الهند تهدف الى إثارة العداوة بين الطوائف الدينية ، وبخاصة بين الهندوس والمسلمين - المحرر  
(٢) راشترىا سوامسيواك سانج ، تنظيم رجعى شبه عسكرى متطرف للجناح اليميني لحزب جانانا • وبهاراتيلوك دال حزب يعنى آخر انضم الى حزب جانانا •



تعود من جديد الى المسرح السياسى للبلاد . واذا كانت تجاوزات حالة الطوارئ قد آتت بحزب جانانا الى السلطة ، فان سوء حكمة خلال عام واحد قد سهلت من عودة انديرا الى المسرح فى غياب بديل يسارى وديموقراطى .

ورغم ان مؤتمر انديرا له قاعدة هامة بين فقراء الريف واقسام من فقراء المدن ، يجب على المرء ان يترك انه كذلك حزب برجوازى . انه عاجز عن تنفيذ أى برنامج اجتماعى اقتصادى جذرى بسبب التركيب الطبقي لقيادته ، التى تقسم كبار ملاك ، وبخاصة على مستوى الولايات . وبالتأكيد فانه لن يصنع المعجزات . واكبر نقطة ضعف فى هذا الحزب هى انه يستند على شعبية وتقديس فرد واحد . ان المؤتمر القديم سيمى السمعة الذى اقامته قد عاد من جديد . وهناك بعض التذمر بالفعل فى هذا الحزب . ولن يكون متحررا من صراع المجموعات مثل الاحزاب البرجوازية الاخرى فى الوضع الحالى الذى تمسك الازمة بخناقها فى البلاد . ويمكن تلمس مدى حساسية هذا الحزب من الطريقة التى عالجت بها حكومة مؤتمر انديرا فى انديرا براديش مسألة فظائع البوليس .

والوضع السياسى فى بلادنا فى حالة تغير متواصل . ومع ذلك فمن السابق لاوانه ان نقول فى أى اتجاه ستتحرك الامور واى نوع من اعادة توزيع القوى سيحدث . لكن يمكننا ان نقول بارتياح انه ليس فى مقدور أى حزب برجوازى ان يخلص البلاد من الازمة العميقة التى تصانى منها اليوم .

وكبار رجال الاعمال والامبراليون يستفيدون من الوضع لمواصلة لعبتهم الشائنة . انهم يساندون كلا من حزب جانانا ومؤتمر انديرا ويعملون من اجل اقامة نظام للحزبين فى البلاد كوسيلة لانقاذ احتكار السلطة البرجوازية .

وفى هذا الوضع تبحث اقسام متزايدة من الشعب عن بديل سياسى يلبى احتياجاتهم ومطامحهم بعد تجربة ثلاثين عاما من حكم المؤتمر وعام واحد من حكم حزب جانانا . ان البديل اليسارى والديموقراطى القومى هو وحده الذى يستطيع ان يخلص بلادنا من الازمة الحالية ويحمى استقلالها وسيادتها من المؤامرات الجديدة للامبراليين . وتحقيق هذا الافق سيضع حدا لحكم حزب جانانا ويحول دون احياء حكم المؤتمر .

ويعتبر الحزب الشيوعي الهندي ذلك واجبه السياسى الرئيسى فى الفترة القادمة .

ويستهدف هذا الافق اعرض وحدة ممكنة بين كافة القوى والاحزاب اليسارية والديموقراطية . وسوف تتضمن هذه الوحدة كافة الاحزاب اليسارية والديموقراطية والقوى التقدمية فى حزب المؤتمر ، ومؤتمر انديرا وحزب جاناتا . ويحدد القرار السياسى هذه الفكرة كما يلى : على الحزب أن يكسب المساندة الجماهيرية اللازمة لتحقيق هذا الافق باقامة اعرض وحدة للقوى اليسارية والديموقراطية ورفعها الى مستوى سياسى يجعل فى الامكان تغيير ميزان القوى الطبقة فى البلاد لصالح الطبقة العاملة والتحالف العمالى - الفلاحى . ان مثل هذا التغير فى ميزان القوى الطبقة فحسب بالإضافة الى هجوم متنامى للقوى الوطنية الديموقراطية ضد قوى الرجعية يمكنه أن يساعد الطبقة العاملة فى وضع حد لاحتكار السلطة البرجوازى واستبداله بحكومة قومية للوحدة اليسارية والديموقراطية . وفى مثل هذه الحكومة ، سيشترك السلطة الاحزاب والقوى التى تمثل الطبقة العاملة والفلاحين والطبقة الوسطى الراديكالية والاقسام الوطنية غير الاحتكارية للبرجوازية الوطنية التى تعادى الامبريالية ، والاقطاع والاحتكار ، ومثل هذه الحكومة ستكون اداة فعالة لدفع النضال ضد الامبريالية ورأس المال الاحتكارى والاقطاع نحو مرحلة جديدة حاسمة ، ومن أجل تحولات اجتماعية اقتصادية جذرية .

ويمكن لهذا البديل أن يظهر فى عملية المعارك الجماهيرية والسياسية المبررة ضد السياسة الرجعية لحكومة حزب جاناتا وكذلك حكومة المؤتمر والحكومات البرجوازية الاخرى ومؤامرات الامبرياليين .

وفى بلاد واسعة كبلادنا ، بكل تنوعها فى السياسة والاقتصاد ، واللغة ، والدين ، والثقافة ، وفى الوضع المعقد والمائع القائم اليوم ، تبدو مهمة بناء الوحدة اليسارية والديموقراطية عملية صعبة وطويلة للمعارك السياسية والجماهيرية . وقد تتطور بشكل مختلف فى الولايات المختلفة . والجوانب المختلفة لهذه العملية لايجب أن توضع فى مواجهة بعضها البعض - فلا الوحدة اليسارية ضد الوحدة الديموقراطية ولا العكس . فالهدف فى كل

حالة من العمل الجماهيرى والسياسى هو بناء أوسع وحدة ممكنة للجماهير فى العمل من أجل تطوير وحدة القوى اليسارية والديموقراطية. وسيفرض علينا ذلك أن نتبنى موقفا مرنا وواقعيا فى كل ولاية وبخصوص كل مسألة واضعين فى الاعتبار كافة العوامل الملموسة المتعلقة بالمسألة . وعلى حزبنا ومنظماتنا الجماهيرية أن تبدى أكبر قدر من المبادرة فى خوض وقيادة هذه المعارك السياسية والجماهيرية .

وفى هذه المهمة ، مهمة خوض المعارك الجماهيرية وبناء وحدة القوى اليسارية والديموقراطية تحتل أهمية خاصة إقامة علاقات أوثق بين الحزب الشيوعى الهندى والحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » . ويرغب فى ذلك بحماس ليس فقط جماهير الشيوعيين والمتعاطفين معهم ، وانما القوى اليسارية والديموقراطية الأخرى والجماهير ذات الاتجاه الراديكالى . والخطابات المتعلقة بهذا الموضوع تنهال على مكاتب حزبنا . وحيثما نذهب يقال لنا ذلك من قبل أصدقاء الحركة الشيوعية . وطالما الجماهير والقوى التقدمية لا ترى تقاربا بين حزبى اليسار الرئيسيين ، فانها لن تتزايد نقتها بدرجة كافية فى امكانيات قيام بديل يسارى وديموقراطى قومى . أن وحدة العمل والحوار السياسى الأخرى يمكنها أن تمهد الطريق نحو إعادة الوحدة النهائية للحركة الشيوعية فى بلادنا . ويؤيد حزبنا مثل هذه الوحدة على أساس مبدئى .

وهذا الموقف الأخرى ينبغى أن يمتد كذلك الى آلاف الشباب النكسالى الذين يشكلون جزءا هاما من القوى اليسارية . وينبغى بذل كل الجهود الممكنة من أجل دعم الوحدة مع كافة الأحزاب اليسارية والديموقراطية الأخرى التى توجد فى الأجزاء المختلفة من بلادنا .

انه لبشير طيب ان ينعقد مؤتمرى الحزب الشيوعى الهندى والحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » فى البنجاب فى نفس الوقت تقريبا ويؤثران على بعضهما للدرجة ما . والاجتماع الذى تم بين قادة عموم الهند للحزب الشيوعى الهندى والحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » فى ١٣ ابريل ١٩٧٨ فى دلهى ، والبيان المشترك الذى صدر بعد الاجتماع قد أذابا الجليد فيما يتعلق بالتعاون بين الحزبين . لقد مهدا الطريق للعمل الجماهير والسياسى المشترك حول المسائل المتفق عليها ومن أجل مواصلة المحادثات اذا مادعت الضرورة . وهذه مجرد بداية وينبغى علينا أن نبذل جهودا جادة ودؤوبة وصبورة ومبدئية كى نحقق الوحدة السياسية .

وبعد كل هذا ، فاننا مضطرون لان نقول بأن عقبة هامة اليوم فى

طريق تحقيق الوحدة اليسارية تتمثل فى الخط الخاطيء للحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » الذى يعتبر حزب جانانا كحليف له بينما يصور حزب المؤتمر كعدو رئيسى ويسعى بكل جهده لاسقاط حكومة الجبهة المتحدة فى كيرالا ، التى تفخر بسجل منجزاتها . وهم يفعلون ذلك فى وقت تبين فيه حكومة حزب جانانا بصراحة سياسة رجعية معادية للشعب ، وتطلق الرصاص على العمال ، وتشجع الاعمال الوحشية ضد الهاريجانز والاقسام الاضعف الاخرى ، وتتبع تكتيكات تهدف الى اثارة النزاعات الطائفية ، والتوترات الاقليمية ، وتزداد عزلة عن الشعب يوما بعد يوم . ونحن نأمل ان تعلم قيادة الحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » فى الوقت المناسب ان صداقتها مع حزب جانانا سياسة خاطئة .

وفى حدود ما يستطيع الحزب الشيوعى الهندى ، سنبدل قصارى جهدنا من اجل التوصل الى وحدة يسارية وديمقراطية ووحدة شيوعية .

وفى هذا الخصوص يجب علينا أن نشير الى ان الموقف الدولى للحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » والقائم على مايدعى بالوقوف بين الحزب الشيوعى السوفييتى والصين الماوية هو موقف صار فى وقت يؤدى فيه الاتحاد السوفييتى واجبه الاممى بتقديم كل مساعدة الى هؤلاء الذين يناضلون ضد الامبريالية والرجعية فى جميع أنحاء العالم وفى وقت تتعاون فيه القيادة الماوية دون حياء مع الامبرياليين والعنصريين والرجعيين وتلعب الى وحدة شاملة ضد الاتحاد السوفييتى .

وبقول القرار السياسى للمؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى الهندى ان التغيرات الاقتصادية الاجتماعية الرئيسية ضرورية اذا ماكان هناك اتجاه لحل الازمة الحالية . ومحاولات الاصلاح الجزئى لا جدوى منها . فالجماهير الكادحة وكافة القوى اليسارية والديمقراطية يجب ان تحتشد فى عمل موحد على اساس برنامج راديكالى يؤدى الى ثورة ديمقراطية قومية . وقد طرح القرار السياسى مثل هذا البرنامج اللاموس امام شعب بلادنا باطلاق النداء التالى الملوى .

« ان الجماهير الكادحة وكافة القوى اليسارية والديمقراطية يجب ان تحتشد وتجذب بشكل موحد الى مجال العمل ، وأن تطالب وتكسب تأمين البيوتات الاحتكارية ، وتستولى على رأس المال الامبريالى ، وفك ارتباط بلادنا عن تقسيم العمل الراسمالى العالمى . وتطوير علاقات اوثق مع الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الصديقة الاخرى وبلدان عدم الانحياز ، والفناء ملكية الارض الكبيرة وتوزيع الارض على من يفلحونها ،

وتوفير أجور تسمح بالحياة وحقوق نقابية للطبقة العاملة ، وتعزيز ومقرطة القطاع العام مع مشاركة العمال الفعالة فى الإدارة ، وتغييرات ديمقراطية راديكالية فى بنية الدولة . أن الجماهير فى بلادنا تتحرك فى اتجاه طريق تطور بديل . وواجب الحزب الشيوعى الهندى ليس فقط أن ينشر على نطاق واسع وبشكل منتظم بينها المهام الرئيسية للثورة الديمقراطية مع افق الانتقال الى الاشتراكية ، وإنما عليه كذلك أن ينتظم ويقود الجماهير الى العمل الحازم من اجل كسب مثل هذه المطالب الملحة والعاجلة ، .

تقرير الاستعراض السياسى الذى صدق عليه مع بعض التعديلات مؤتمر حزبنا يعالج سياسة حزبنا ونشاطه منذ المؤتمر العاشر والمشاكل السياسية التى نشأت فى أعقاب الانتكاسة التى عانى منها الحزب فى الانتخابات البرلمانية فى مارس ١٩٧٧ فى عدد من الولايات .

والحدث الوحيد الذى سيطر على الحياة السياسية لبلادنا فى الفترة منذ المؤتمر العاشر للحزب كان فرض أنديرا غاندى رئيسة الوزراء حينئذ حالة الطوارئ . وفى البداية بدأ الامر وكأنها حالة الطوارئ فرضت فحسب لمواجهة التهديدات من اليمينيين المتطرفين . لكن سرعان ما اتضحت أهدافها الأخرى ، وهى حل الازمة الرأسمالية على حساب الشعب من اجل حماية سلطة البرجوازية وفرض حكمها الشخصى من خلال استبدال البرلمان او الديمقراطية البرلمانية بالنظام الرئاسى .

وفى ظل الوضع المعقد والمضطرب السائد حينئذ عجزت قيادة الحزب المركزية عن ادراك ماتضمنه حالة الطوارئ بشكل كامل . ولا يعنى هذا انه لم تكن هناك دلائل على ذلك . واذا ما كانت القادة المركزية يقظة ودرست الوضع بدقة ، لكانت قد رأيت الصورة بكاملها بوضوح .

وكحقيقة ، فان حكومة انديرا غاندى ، منذ ١٩٧٤ فصاعدا ، بدأت تقبل بصورة متزايدة الوصفة الاقتصادية للبنك الدولى ، فى شكل اقتصاد « موجه نحو التصدير » وتنازلات كبيرة للاحتكارات الهندية والاحتكارات متعددة الجنسية ، واللجوء المتزايد الى « المعونة » الامبريالية والهجمات على حقوق الشعب الكادح ، وبخاصة الطبقة العاملة ، وعلى مستوى معيشتها . وكان تركيز السلطة فى ايدى انديرا غاندى ، وتعيين «أشخاص

يعتمد عليهم » فى مراكز السلطة فى العاصمة وفى الولايات على أساس الأخلاص الشخصى لانديرا ، والهجمات على التقدميين داخل المؤتمر ، وحل المنبر الاشتراكى للمؤتمر ، ونمو الفساد بدرجة هائلة فى الدوائر المحيطة بها ، كل ذلك كان واضحا للعيان .

وقد هونت القيادة المركزية لحزبنا لدرجة كبيرة من الخطر الذى واجهت به تلك التطورات القوى اليسارية والديموقراطية والديموقراطية البرلمانية فى البلاد . ولوحظت كل تلك الجوانب على أنفراد ، ولكنها لم ترى فى وحدتها المتكاملة وبكل ماتتضمنه من محاولات انديرا غاندى انقاذ حكم البرجوازية وسلطة المؤتمر ومركزها الشخصى .

وكان فرض حالة الطوارئ فى الداخل فى ٢٥ يونيو ١٩٧٥ هو النتيجة المنطقية للتطورات السالفة الذكر . وفى ظل حالة الطوارئ ، عطلت الحقوق الاساسية ، وشددت الرقابة على الصحف ، وفرضت قيود شديدة على عقد الاجتماعات العامة واتكر حق طرح هذه المظالم أمام القضاء .

وفرضت أعباء جديدة على العمال والفلاحين والطبقات الوسطى باسم مكافحة التضخم ، بينما أفدقت الامتيازات على أصحاب المصالح الكبيرة . وحتى برنامج النقاط العشرين ، الذى كان يهدف الى تحسين أحوال فقراء الريف ، حزب فى النهاية من خلال برنامج سانجاي غاندى (١) ذى الخمس نقاط . ولجأوا كذلك الى هدم أكواخ الفقراء باسم تجميل المدن والتعقيم الجبارى للتحكم فى زيادة السكان ، واتخذت تلك الاجراءات ابعادا هائلة فى دلهى وفى العديد من المقاطعات فى شمال الهند .

وجرت اعتقالات تعسفية لم تسلم منها حتى الاحزاب اليسارية بما فيها حزبنا . وبذلك منعت القوى اليسارية والديموقراطية من الكفاح ضد تهديد الرجعية اليمينية عن طريق تعبئة الجماهير الكادحة .

والى جانب عجزها عن رؤية الاهداف الثلاثة التى استوتحتها السبيلة غاندى بوضوح من فرض حالة الطوارئ فى الداخل ، توصلت القيادة الحزبية المركزية كذلك الى فهم خاطئ يقول ان تقسما حدث بين الاقسام

---

(١) الابن الاصغر لانديرا غاندى ، وهو لم يشغل أى منصب حكومى ، ولكنه كان يرأس « مركز قوة فوق الدستور » - المحرر

الرجعية والتقدمية للبرجوازية وان حالة الطوارئ يمكن أن تستخدم لتحقيق تحولات تقدمية في علاقات القوى وسلطة الدولة في اتجاه ديمقراطى وطنى . وبالتالي جرت المبالغة بدرجة كبيرة فى امكانيات البرجوازية الوطنية وحكومة انديرا غاندى وفى قدرة حزبنا على تحقيق هذه التحولات الإيجابية فى الوضع . وجرى فهم امكانيات الوضع الدولى المواتى والسياسية الخارجية التقدمية فى علاقتها بتأثيرها على الوضع الداخلى ، بطريقة ميكانيكية . ولم يدركوا على نحو سليم أن السياسة الخارجية التقدمية لا يمكن حمايتها فى النهاية دون سياسة داخلية تقدمية .

كان هذا هو خطانا الرئيسى ونتيجة لهذا الفهم الخاطىء أيننا حالة الطوارئ . ومانرتب على حالة الطوارئ لم يكن تحولات تقدمية فى اتجاه ديمقراطى وطنى واتما العكس تماما .

لقد ساعات حالة الطوارئ بالفعل قوى الرجعية اليمينية فى استغلال سحق الشعب والوصول الى السلطة من خلال تفويض شعبى باعتبارهم المدافعين عن الحريات الديمقراطية . ولم تساعد مساندتنا لحالة الطوارئ لا الدفاع عن مصالح الشعب ، ولا بناء مقاومة شعبية ضد الرجعية اليمينية . وكان من الممكن محاربة الرجعية اليمينية بالقوانين القائمة فى ارتباطها بالتعبئة الجماهيرية ، كما حدث فى بيهار وبعض الولايات الأخرى ولهذا السبب توصل مؤتمر بهاتيندا الى نتيجة أن مساندة حزبنا لحالة الطوارئ كانت خاطئة منذ البداية .

وحزبنا لا يخفى أخطاءه أبدا عن الجماهير . أنه يعترف بها بشجاعة ويصححها . والذين يريدون الحط من قدر حزبنا ، يحاولون تشويه سمعته ، مستفيدين من هذه الأخطاء . وبعض الذين لم يفعلوا شيئا خلال فترة الطوارئ أو حتى تهادنوا مع انديرا غاندى يسعون البطولة الآن أمام الشعب ويتمهمون على حزبنا لموقفه فى تلك الفترة . ولدينا كل الأسباب التى تدفعنا الى القول بأنه رغم مساندتنا لحالة الطوارئ ، فإن سجل نشاطات حزبنا ضد التجاوزات التى جرت ليس له مثيل . فقد كافح الحزب الشيوعى الهندى بشجاعة ضد التجاوزات والهجمات القظة لنظام انديرا غاندى خلال حالة الطوارئ ضد الطبقة العاملة وعامة الشعب . لقد أبرز بشكل واضح الخطر الناجم عن المؤتمر الذى خلقته انديرا غاندى على الكيان الديمقراطى لبلادنا . وفى مجالس الولايات والبرلمان وقف

حزبنا ضد المؤتمر . وبسبب كل ذلك ، استحق حزبنا غضب أندري غاندى ومؤتمرها .

ولا، يعنى ذلك أن كل مااحتاجه الوضع أو كان ممكنا قام به حزبنا فى تلك الفترة . ونحن نعرف أننا اذا لم تكن قد اتخذنا موقفا خاطئا من حالة الطوارئ لكانت منجزاتنا أكبر بكثير . لقد حد موقفنا من حالة الطوارئ من نفوذنا .

واستفادت قيادة الحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » من الانتكاسة التى عانى منها حزبنا فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٧ ، وبدات حملة خبيثة تقول بأن برنامج حزبنا وسياسته قد برهنت على أنها خاطئة وان برنامجهم وسياستهم هى السليمة .

وليس هناك من شك فى أننا ارتكبنا خطأ فيما يتعلق بحالة الطوارئ وما تلاها من أحداث . ولكن ذلك لايعنى خطأ التحليل الأساسى والاستنتاجات الأساسية لبرنامج الحزب . فتحديد الطابع الطبقي للدولة الهندية ، ولتناقضات طريق التطور الرأسمالى والطبيعة المزدوجة للبرجوازية غير الاحتكارية ما زال تحتفظ بصحتها بشكل كامل . وينطبق هذا أيضا على الأسعار التكتيكية لبناء جبهة ديموقراطية وطنية ، ودور الطبقة العاملة والتحالف العمالى الفلاحى ، وأفق الثورة الديموقراطية الوطنية . وكحقيقة ، فإن الأخطاء التى ارتكبت خلال فترة الطوارئ إنما ترجع الى انحراف عن برنامج الحزب ، وبخاصة فيما يتعلق بالبرجوازية الهندية .

واذا ما تناولنا سياسة الحزب فى فترة ما قبل الطوارئ ، لوجب أن نقول انها كانت فترة مجيدة للحزب . فقد لعب حزبنا دورا هاما فى حياة البلاد . وكافح الجوانب المعادية للشعب والرجعية فى سياسة حكومة اندري غاندى فى الوقت الذى كان يؤيد الجوانب التقدمية بتطبيق تكتيك الوحدة والصراع فى علاقته بالبرجوازية الوطنية بشكل سليم .

والمعارك الجماهيرية والسياسية التى خاضها حزبنا فى تلك الفترة لم يسبق لها مثيل فى طابعها القومى . فلم يقف حزبنا فحسب الى جانب الشعب الكادح ولكنه دافع بحزم عن الديموقراطية المدنية ووحدة بلادنا ضد هجمات كافة القوى الرجعية الطائفية وغيرها من القوى المخربة .

والى جانب معركة احتلال الارض عام ١٩٧٠ ، ينبغى أن نذكر حملة « تنفيذ التفويض » فى الفترة من ١ - ٨ مايو ١٩٧٢ ضد التراجعات فى



سياسة حكومة المؤتمر وما صاحبها - من مسيرات ضخمة في شانديجار وكالكوتا وحيدر أباد ، والاجتماع الجماهيري الذي تم يسبق نه منيل في بانناد والذي ضم ٥٠٠.٠٠٠ شخص . وفي الاسبوع الاول من أكتوبر ١٩٧٢ تعرض ٣٥٠.٠٠٠ شخص للاعتقال في ساتياجراها (١) على نطاق البلاد ضد ارتفاع الاسعار ومن اجل اصلاحات راديكالية . وأعقب ذلك المسيرة الكبرى التاريخية الى البرلمان في مارس ١٩٧٣ . ثم جاءت الحملة القومية ضد الاكتناز من ١ - ٧ أغسطس ١٩٧٣ . ولعب حزبنا دورا بارزا في الاضرابات الكبيرة لعمال النسيج والجوت في بومباي وغرب البنغال وتاميلنادو في أوائل ١٩٧٤ وأعمال باند (٢) العديدة في ذلك الوقت .

ومن المسائل التي يفخر بها الحزب انه كافح ضد الهجوم الرجعي اليميني ليس بالكلمات وحدها ، وانما بالتعبئة الجماهيرية المناهضة .والشجاعة وبالعامل . ومنذ حوالي نهاية ١٩٧٢ حتى ابريل ١٩٧٣ كافحت وحدتنا الحزبية في اندهرا ضد الحركة الانفصالية ، ومنذ منتصف ١٩٧٤ واجهت وحدة حزبنا في بيهار وردعت « الثورة الكلية » التي قادها جايا براكاشي نارايين . وقاوم الحزب في كافة أنحاء البلاد التهديد الرجعي اليميني . وعندما هزم هذا التهديد ، تقدم حزبنا كرائد للديموقراطية البرلمانية . واذا لم نستطع ان نفعل أكثر من ذلك ، فان ذلك يرجع الى جوانب الضعف الاساسية الدائمة لحزبنا والتي اشرنا اليها مرارا في وثائقنا .

وانه لما يعتز به حزبنا كذلك انه خلال كل الفترة في كيرالا لعب الحزب دورا بارزا رئيسيا في اجراء اصلاحات ديموقراطية هامة حسنت من وضع الجماهير وبذلك وفرت استقرارا سياسيا للولاية . وواجه الحزب الشيوعي الهندي « الماركسي » هزيمة انتخابية هناك في مارس ١٩٧٧ بسبب عدائه الاعمى لهذه الحكومة .

واستنادا الى التقييم السابق لفترة ماقبل الطوارئ ، توصل مؤتمر الحزب الى استنتاج مؤداه انه سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن تلك الانجازات تحققت على اساس خط سياسي خاطيء . لقد تحققت تلك الانجازات لانه حتى الربع الاخير من عام ١٩٧٤ اتبع حزبنا خطا سياسيا صائبا في الاساس ولا يعنى ذلك انه لم يكن هناك تهوين أو مبالغة في بعض جوانب الوضع

---

(١) انتهاء رمزي للقانون والنظام - المحر  
(٢) توقف جماعة عن كل انتاج أو تجارة ، تعطيل عملية النقل ، والكتائب والمدارس ،  
« الخ - المحر

أو أنه لم يرتكب أية أخطاء . أنه يعنى فحسب أنه رغم بعض الأخطاء هنا وهناك ، كان حزبنا ينتهج خطأ صائبا في جوهره .

وكنتيجة لذلك وسع حزبنا للدرجة كبيرة من عضويته وامتد الى مناطق جديدة . وفى كيرالا واندھرا وتاميلنادر وبعض الأماكن الأخرى انضمت أقسام من الحزب الشيوعى الهندى « الماركسى » الى حزبنا ، بينما لم يذهب اليهم من أعضائنا سوى النذر اليسير .

ودافع حزبنا كذلك عن خط الحركة الشيوعية الدولية ومبادئ الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية كقصيلة مخصصة فى الحركة الشيوعية الدولية ، ضد هجمات الماويين والانتهازية اليسارية .

وفى الختام ، فقد خرج حزبنا من المؤتمر الحادى عشر ، كما أشرنا من قبل ، أكثر وحدة وثقة ، وبمنظرة أوضح للمستقبل . ان أعداؤنا وقد خابت آمالهم ، يعزفون الآن نغمه مختلفه . فهم يقولون أنه رغم ان حزبنا لم ينقسم ، فإنه مازال منقسما الى يمين ويسار ووسط . وهم يقولون ذلك لتشويه سمعة حزبنا وتشويش الشعب .

وكل شخص يعرف ان القرار السياسى وتقرير التطورات الدولية والتقرير التنظيمى قد أقرت بالإجماع . وحتى تقرير الاستعراض السياسى الذى كان حوله خلاف أقر فى النهاية دون ان يصوت ضده أحد ومع امتناع عدد محدود للغاية . وصوت المندوبون على التعديلات ليس على أساس اتجاهات واضحة تماما وإنما على أساس ميزة كل تعديل . ومن ثم كان التصويت متباينا ، مما لا يعنى وجود اتجاهات محددة . وانتخب المجلس القومى ، أعلى هيئة قيادية فى الحزب بالإجماع . وأخيرا انتخب المجلس القومى ، الرئيس ، والسكرتير العام ، والسكرتارية المركزية ، واللجنة التنفيذية المركزية للحزب . بالإجماع كذلك .

لقد كان المؤتمر الحادى عشر لحزبنا فى بهاتيندا نجاحا كبيرا من جميع الوجوه . وقد سوى حزبنا حساباته مع الماضى وهو مستعد الآن للقيام بواجباته نحو شعب بلادنا بمنظرة واضحة للمستقبل .

## جنوب أفريقيا

# الثورة في صعود

بقلم : يوسف دادو

شهد شهر يونيو حدثين لهما دلالتهما في تاريخ نضال شعوب جنوب افريقيا المقهورة ضد العنصرية وطفان الفصل العنصرى ، ومن أجل التحرر الوطنى والاجتماعى . فقد كان السادس عشر من يونيو هو الذكرى الثانية لانتفاضة سويتو الباسلة التى ارتفعت بالنضال فى جنوب افريقيا العنصرية الى مستويات جديدة ارقى . كما يجرى الاحتفال بالسادس والعشرين من يونيو فى كافة أنحاء البلاد باعتباره يوم حرية جنوب افريقيا منذ عام ١٩٥٠ حين احتفل به المؤتمر الوطنى الافريقى بالتحالف مع الحزب الشيوعى وغيره من المنظمات الوطنية . وفى هذا اليوم يجد شعبنا - بالرغم من الارهاب العنصرى - الطرق والوسائل لتكريم ذكرى الابطال الذين سقطوا ، وللإعراب عن تضامنه مع أولئك الذين يعانون فى سجون فورستر ، ويؤكد من جديد اعتزامه مواصلة النضال بلا هوادة حتى تحقيق النصر النهائي .

ومنذ عمليات اطلاق النار الاولى فى سويتو تعرض الآلاف من أبناء شعبنا للاغتتيال والتشويه والقبض والتعذيب . وتظهر كل يوم شواهد جديدة على قدرة الحكام العنصريين التى لاتنفذ على ارتكاب أشجع جرائم القهر والاستعباد . لكن الدماء التى سالت فى شوارع سويتو وغيرها من مناطق النجيتو زادت من تصميم شعبنا على مضاعفة مقاومته على كل الجبهات ، ويكشف أبناء الشعب فى المعارك الجارية عن قدر كبير من الابداع والابتكار . فقد نصبوا الكمان لسيارات الشرطة ، وأقاموا مختلف أنواع المتاريس ، وانتجوا القنابل بأنفسهم ، ونظموا أعمال محكمة ضد المؤسسات التى ترمز الى الفصل العنصرى . ومن الواضح أن العدو قد فشل فى إجبار شعبنا على الخضوع ، وانتقلت المبادرة بلا رجعة الى أيدي الشعب ومنظّماته التحريرية .

وثورات التحرر الوطنى تترايط ترابطا جدليا ، وتحدد - من ناحية - بالخصائص القومية المعينة ، ومن ناحية أخرى بطبيعة العصر التاريخى الذى تحدث فيه ومضمونه ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على نطاق العالم بأسره . ونحن نشهد - على عكس الازمة الاقتصادية - الاجتماعية العميقة التى يعاني منها العالم الرأسمالى - تزايد قوة العالم الاشتراكي الاقتصادية والسياسية والمعنوية ، وبخاصة الاتحاد السوفييتى قلعة الحرية والديموقراطية العظيمة وتأثيره الإيجابى المتزايد على ثورات التحرر الوطنى .

وتغدو عملية الانفراج والتعايش السلمى عملية عميقة فى تأثيرها . وفى ظل هذه الظروف تحقق شعوب قارتنا انتصارات جديدة فى الضغط على مواقع الامبريالية . فقد أدت الانتصارات فى أنجولا وموزمبيق الى تغيير الوضع السياسى - الجغرافى فى أفريقيا الجنوبية ، ومنحت دعما لايمكن تقديره لروح النضال والمعنويات القتالية للجماهير الكادحة المهفورة فى ناميبيا وزيمبابوى وجنوب افريقيا . وأبرزت القوى الثورية فى أنجولا وموزمبيق ، الفارق بين التحرر الوطنى والقهر ، بين سلطة الشعب والسلطة التى تمارسها أقلية ذات امتيازات من صنائع الامبريالية والاستعمار الجديد . ولاشك فى أن المثل الذى ضربته سيكون الهاما لشعبى ناميبيا وزيمبابوى اللذين يصدان محاولة فرض « التسيوية الداخلية » المشينة عليهما ، وهى لاتعدو فى الواقع أن تكون صفقة استعمارية جديدة مع السلطات العنصرية تترك السيطرة للأقلية البيضاء فى هذين البلدين .

ومن الضرورى أن تلتف القوى الديمقراطية والتقدمية الثورية العالمية حول منظمة شعب جنوب غرب افريقيا « سوابو » والجبهة الوطنية ، فهما المتحدثان الحقيقيان باسم شعبى ناميبيا وزيمبابوى . وعلينا أن نبذل كل مانستطيع لاحباط مؤامرات الامبريالية العالمية التى تسعى فى المقام الاول الى منع اقامة سلطة شعبية حقيقية فى ناميبيا وزيمبابوى ، وبالطبع فى جنوب افريقيا قلعة العنصرية والاستعمار الجديد والامبريالية فى القارة الافريقية .

وفى نشاط محموم يتقدم الامبرياليون بكل ألوان الوصفات الإصلاحية فى

محاولة لمنع حدوث مثل هذا التحول الثورى فى بلادنا • فامبريالية الولايات المتحدة ونظام الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا يتقاسمان الهدف نفسه - حماية الرأسمالية فى جنوب افريقيا - لكنهما يختلفان حول أفضل الطرق لتحقيق ذلك • فلدى فورستر ايمان ليس له مايرره - ويقوم على التعامل بالامانى أكثر منه على الواقع الملموس - بأنه يستطيع احتواء الموجة الثورية فى جنوب افريقيا بتقديم تغييرات شكلية محدودة بمعدل بطيء للغاية • أما الدول الامبريالية فانها - من الناحية الاخرى - تريد أن يتحرك نظام الحكم العنصرى بسرعة أكبر لتصفية بعض الهياكل العنصرية ، مع المحافظة بالطبع على نظام جنوب افريقيا الاقتصادى - الاجتماعى ، ولكن مع خلق مصلحة فى المحافظة على هذا النظام لدى بعض أقسام الفئات الوسطى السوداء •

والامبراليون يدركون أن التأييد الصريح لنظام الحكم العنصرى يزيد من سخط الافريقين عليهم وبدا يعرض المصالح الامبريالية والاحتكارية فى افريقيا للخطر ، وهكذا زعم كاترر بصورة ديماجوجية فى نيجيريا - خلال رحلته الافريقية القصيرة - أنه عازم على تصفية « نظام الفصل العنصرى القمعى الشرير » فى جنوب افريقيا • ومن المستحيل بالطبع على امبريالية الولايات المتحدة الامريكية أن تعمل على نقل سلطة سياسية واقتصادية حقيقية من الاقلية البيضاء الى الاغلبية السوداء المقهورة ، لأن هذا سيتناقض مع أساس الاستعمار الجديد ذاته • كما أن الديماجوجية والتناورات السياسية والتعديلات التكنيكية لن تغدخ الجماهير المقهورة فى جنوب افريقيا •

وتصعد الدول الامبريالية حملتها المعادية للشبيوعية واليسوفيتية لاختفاء نواياها الحقيقية ، وتبذل كل ما فى وسعها لتقسيم حركة التحرر الوطنى والقوى التقدمية والديموقراطية العالمية التى تؤيد فضالنا • وسيضعف الامبراليون ، بلاشك ، جهودهم لعزل الحركات الثورية فى جنوب افريقيا وغيرها من البلدان الافريقية عن حلفائها الطبيعيين الحقيقيين ، عن العالم الاشتراكى ، ويمكن أن نتظر أن يتجه حقدهم الى الاسرة الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفيتى وكوبا • فبمساعدة رفاق السلاح هؤلاء تمكنت انجولا من هزيمة العدوان الامبريالى العنصرى • وتمكنت اثيوبيا من طرد المعتدين الصوماليين •

وقد يرغى الامبراليون وكتابهم المأجورين ويزبدون ، ولكن شعوب افريقيا تزداد ادراكا لحقيقة أن الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى هم اصدقاؤهم وحلفاؤهم الحقيقيون ، وأنه بدون مساعدتهم فإن التحرر الوطنى والاجتماعى فى ظروف العدوان الامبريالى الذى لا يكف ليس أكثر من وهم • ونحن شيوعى جنوب افريقيا نرفض بحزم أية محاولة لنشر العداء للسوفيتية أيا كان مصدرها ، لانها لايمكن الا أن تجلب القمح الى طاحونة أعدائنا الطبقيين الصريحين والمشتريين •

لقد اكملت الممارسة التاريخية صحة تقييم الماركسية اللينينية للثورة « كقادرة للتاريخ » • وما يحدد مضمون الثورة وعمقها ليس القهر العنصرى

وانقوى فحسب ، بل كذلك الطابع الطبقي للمجتمع المعين . فكل ثورة ، وأى ثورة تحكمها قوانين الصراع الطبقي وقواعده ، وبالتالي فإن الطبقات الاجتماعية التقدمية هي قوى الثورة الدافعة الحقيقية . وقد طرح لينين ذلك بجلاء حين قال « ان انتقال سلطة الدولة من طبقة الى أخرى ، هو العلامة الاولى ، الرئيسية ، الاساسية ، لثورة ما ، سواء بالمعنى العلمى الدقيق أو بالمعنى السياسى العملى لهذه الكلمة » ( المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٤ ، ص ٤١ ) .

وحين نطبق المنهج الماركسى اللينينى على دراسة طابع الثورة فى جنوب افريقيا فائنا نركز على التفاعل بالغ التعقيد بين العوامل الوطنية والعوامل الطبقة والفهم العلمى الواضح والموقف السياسى الصحيح المنسق فى هذه المسألة ، شرطان لازمان للاطاحة بنظام الفصل العنصرى غير الانسانى . وهكذا يمكن المبدأ المنهجى والسياسى - الاجتماعى الرئيسى للمعالجة الماركسية اللينينية للثورة فى جنوب افريقيا فى تناول المسألة القومية فى صلتها التى لاتنفصم بحل التناقضات الطبقة العدائية بين المستغلين والمستغلين .

وما من مكان آخر فى العالم يعلن فيه من فى السلطة الايديولوجية العنصرية مثل هذه الصراحة ، أو تتجسد بشكل منتظم فى أكثر القوانين ظلامية ومعاداة للانسانية وللديموقراطية . وتكرر مثل هذه القوانين على السود المقهورين « الافريقيين والهنود والملونين » وبخاصة الاغلبية الافريقية أدنى الحقوق الاساسية للديموقراطية البرجوازية ذاتها . ويتعرض الافريقيون منذ المهد للمهانة ، وللسخرة من لون بشرتهم ، وتدمير حضاراتهم وتقاليدهم . وفى كل يوم يلقي آلاف الافريقيين فى السجون أو ينفون الى مناطق بعيدة تطبيقا لهذا القانون أو ذاك من القوانين العنصرية البغيضة التى نمتلئ بها المدونات القانونية فى جنوب افريقيا . فالتشريع العنصرى عنصر رئيسى فى نظام القهر القومى فى بلادنا .

ويشكل القهر القومى فى الظروف السائدة فى جنوب افريقيا عاملا بالغ الاهمية فى الاستغلال المفرط للشعب الافريقى . وتبلغ الهوة فى مقدار الدخل الوطنى للفرد الواحد بين البيض والافريقين ١٤ : ١ . وتكرر على العمال الافريقين حتى الحقوق الاولى فى المفاوضة الجماعية مع ارباب العمل ، ويمنعون بحكم القانون - الا حيثما كان هذا ملائما لنظام الحكم العنصرى والاحتكارين - من أداء أعمال ماهرة ، ولا يتمتعون بأى تأمين اجتماعى أو تأميمات بطالة ، ويعتبرون مجرد « وحدات عمل » يتم التخلص منها اذا لم تكن قادرة على خدمة

« احتياجات » الاقلية البيضاء . ويجبر الافريقون فى المناطق الريفية على العمل فى مزارع البيض مقابل اجور الكفاف - و « يدفع » للبعض عينا لا نقدا - ولا يسمح لهم بأن يمتلكوا حتى قطعة صغيرة من الارض فى ٨٧٪ من مساحة البلاد . أما فى الثلاثة عشر فى المائة المتبقية - ما يسمى بالبانتوستان فان جذب الارض وبؤس الحياة يجبرهم على أن يصـبحوا عمالا مهاجرين . وليس لدى الفئات الوسطى الافريقية - كما هى عليه الآن - سوى مدنى تطور محدود للغاية لانها

## تعاني بنفس القدر القوانين العنصرية والتمييز العنصري شأنها شأن كل أقسام السكان السود الاخرى .

وهكذا نرى أن المسألة القومية فى جنوب أفريقيا العنصرية لا يمكن أن تعتبر جانباً « ثانوياً » أو مجرد شكل يتخذه نظام الاضطهاد الطبقي . فان عامل التبعثة الرئيسى للشعب الافريقى هو استجابتهم للقهر القومى والعنصرى ، وانطلاقاً من ذلك يبذل المؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا جهداً كبيراً لزيادة وعى الافريقيين الذاتى القومى وتعميقه ولغرس العزة القومية فى نفوسهم والثقة فى قوتهم .

وينبغى علينا - كما علمنا لينين - ألا نقتل من شأن العوامل النفسية فى المسألة القومية . وقد عالج الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا منذ تأسيسه فى عام ١٩٢١ هذه القضية . وفى سنوات التكوين كان هناك اتجاه للمبالغة فى شأن دور العمال البيض فى الصراع الطبقي نتيجة لأن العمال البيض فى ذلك الحين كانوا يمثلون أغلبية القوى العاملة فى الصناعة ، وأنهم كانوا حسنى التنظيم يقومون بأعمال اضرابية فضالية ، فى حين كانت الطبقة العاملة الافريقية من الناحية الاخرى قوة اجتماعية ناشئة ، وكان المؤتمر الوطنى الافريقى ما يزال فى دور التحول الى ناطق قيادى ديناميكى باسم الشعب الافريقى فى مجموعه .

وبعد مؤتمر الكومنترن السادس ، الذى حضره كذلك وقد من حزبنا ، صيغ الخط العام الصحيح بالتفصيل للمرة الاولى . ويدعو قرار لجنة الكومنترن التنفيذية فى ١٩٢٨ ، حول مسألة جنوب افريقيا ، دون لبس الى التحرر الوطنى للشعب الافريقى ، مما انعكس بوضوح فى شعار جمهورية للسكان الاصليين . وبعد فترة أصبح هذا الخط أكثر وضوحاً اذ كلفه الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا ليتفق مع الوضع الخاص الذى كان يواجهه فى مختلف الفترات التاريخية وتغلب على الاقطار الانعزالية ، ووصل الى اكمل تعبير عنه فى برنامج الحزب الذى أقر فى عام ١٩٦٢ . وقد ساعدتنا الاممية الشيوعية والخبرة المتجمعة للقوى الثورية العالمية ، وبخاصة خبرة ثورة اكتوبر العظمى ، كثيراً فى سعيينا .

وعلى أساس الخبرة الوطنية والاممية يصف برنامج الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا البلاد بأنها « استعمار من طراز خاص » أى أن لدينا « بلدين فى جنوب افريقيا » داخل كيان جغرافى واحد ، أحدهما « جنوب افريقيا البيضاء » وتتسم بكل السمات الرئيسية لرأسمالية الدولة الاحتكارية والآخر « جنوب أفريقيا غير البيضاء » التى نجد فيها بعض السمات الرئيسية للطراز الاستعمارى من الحياة والادارة والحكم . وانطلاقاً من ذلك توصل الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا الى النتيجة التالية : « يعمل الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا من أجل جبهة موحدة للتحرر الوطنى كمهمة مباشرة رئيسية له . وهو يسعى الى توحيد كل أقسام الشعب الديمقراطى المقهور وطبقاته من أجل ثورة وطنية ديمقراطية لتعطيم سيطرة البيض . وسيكون المضمون الرئيسى لهذه الثورة هو التحرر الوطنى للشعب الافريقى . . . . وتعظيم الاستعمار وكسب

الحرية الوطنية هما الشرط الاساسى ومفتاح التقدم اللاحق نحو الهدف الاسمى  
للحزب الشيوعى : اقامة جنوب افريقيا اشتراكية ، وارساء أسس المجتمع  
الشيوعى اللاتبقى » .

ان انتصار ثورة التحرر الوطنى فى جنوب افريقيا يرتبط ارتباطا لا ينفصم  
بتحطيم هذا النظام الاقتصادى - الاجتماعى الذى يغذى العنصرية والفصل  
العنصرى ويبقى عليهما . والغفر على مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية  
الموضوعية المحددة تاريخيا يعنى الكارثة . ومن الناحية الاخرى فيفضل المستوى  
الموضوعى لتطور جنوب افريقيا الاقتصادى والاجتماعى ، وسجل نضال الحزب  
الشيوعى فى جنوب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى الطويل توجد فى جنوب  
افريقيا قوى طبقية منظمة منضبطة يمكن ان تلعب دور « حافر قبر » الرأسمالية ،  
وهى فى المقام الاول الطبقة العاملة السوداء المركزة اساسا فى المناجم والمصانع  
والموانى ، والتي اوضحت بانساق فى الممارسة أنها اقوى خصم للعنصرية ،  
وانها القوة الاجتماعية الدافعة الاساسية للتغيير . وتميز طاقاتها الثورية الى  
النمو موضوعيا فى فترة يتزايد فيها انفماس جنوب افريقيا العنصرية فى اعماق  
أزمة اقتصادية - اجتماعية فى تاريخها . وتتسم هذه الازمة بهبوط الانتاج  
الصناعى ، وتضاعف التضخم ، والبطالة الواسعة بين السكان السود « مليونين » ،  
وحتى اذا كانت ظروف بعض قطاعات الاقتصاد تتحسن فان هناك ما يشير الى  
أن الاقتصاد لن يكون قادرا على التغلب على الاضطرابات فى عام ١٩٧٨ . ومع  
تفاقم الازمة ، وازدياد العزلة الدولية للعنصرين ، وتضاعف الكفاح السياسى  
والمسلح ضد نظام الحكم ، ينضج الوضع الثورى بالتدريج .

وقد أدرك الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى  
بوضوح دائما أن النضال الثورى لسحق نظام الحكم الوحشى الشرير فى جنوب  
افريقيا عملية معقدة بالغة الصعوبة والتناقض . وبعد استنفاد امكانيات النضال  
غير العنيف - ولم يتورع العدو عن استخدام القوة الوحشية لمواجهة - قرر  
الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى فى عام ١٩٦١  
بدء كفاح ثورى مسلح . واكملت أحداث سويتو ، ثم فيما بعد أحداث أكتوبر  
١٩٧٧ حيث خضرت ١٨ منظمة كلها تدعو الى تكتيكات الاعمال غير العنيفة صحة  
هذا القرار . وهذا العمل الاخير أظهر حتى للناس فصيرى النظر سياسيا أن  
نظام الحكم العنصرى ليس مستعدا للسماح حتى بالنقد والاعمال المعتدلة . وقد  
أصبح الكفاح المسلح اكبر العوامل دلالة فى النضال الثورى ، غير أن علينا أن  
نتقن باصرار اكبر ، كمحترفين ، القدرة على الربط بين مختلف أشكال النضال ،  
المسلح وغير المسلح ، القانونى وغير القانونى ، وأن نعبئ الجماهير للاعمال  
النضالية .

ورغم أن الطبقة الحاكمة فى جنوب افريقيا قد اهتزت نتيجة أحداث سويتو  
وغيرها من الاحداث التى ترتبط بها ، فان العدو وجهاز دولته القمعى لم يصل  
بعد الى نقطة التمزق والتحلل . فمازال العدو يحتفظ باحتياطات كبيرة من القوة  
والموارد ، ومازال قادرا ، وان يكن بوحشية بالغة ، على أن يعمل بطريقة متماسكة



وبذلك يحد من نطاق الاعمال النضالية ومداهما • ومن المهم كذلك أن نعرفه بأن خميرة التمرد لم تشمل البلاد كلها ، لأن المناطق الريفية لم تتأثر تأثيراً عميقاً • وفصلاً عن ذلك فإن أحداث سويتو وغيرها من الأحداث لا يمكن بذاتها أن تتحول إلى انتفاضة مسلحة شاملة ، فلم تكن هذه الأحداث هدفاً في ذاتها ، بل إنها تشكل جزءاً رئيسياً من عملية الارتقاء بوعي الجماهير السياسي ، وقد أثرت تأثيراً حاسماً على أعداد الفصائل والوحدات السرية المتحركة من أجل أعمال سياسية ومسلحة هجومية ودفاعية •

والمهام التي تواجهنا اليوم لا يمكن اختزالها ، كما يقول البعض ، إلى المسائل العسكرية التقنية ومسائل التنظيم ، التي تعتبر عوامل حاسمة • فكما يقول أحد البيانات الأخيرة للجنة حزبنا المركزية فإن « كفاح الشعب المسلح عملية طويلة • وحتى لو توافرت الآن الظروف لتوسيع الكفاح توسيعاً هائلاً فينبغي ألا نغرينا العواطف والانفعال الوقتي على أن ننشر وهما خطراً مدمراً بأنه سيكون قصيراً وسريعاً • غير أنه لاشك في أن الوضع الجديد قد قرب أكثر من أي وقت مضى إمكانية البداية الفعالة للكفاح المسلح ، وهناك بالفعل شواهد علنية على أن وحدات من اومكونتو وى سيزدي « الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الأفريقي » قد بدأت بالفعل تعمل ضد العدو » •

وعلى القوى الثورية أن تقيم الوضع في البلاد بكل تعقيداته لكي تستجيب بأكثر الطرق فعالية • ويمكن أن يؤدي العجز عن ذلك إلى انهيار الروح المعنوية داخل صفوف المهضومين ، وبذا يعطى فورستر وحلفاؤه الامبرياليون امكانية سحق موجة النهوض الثورية الصاعدة بشكل عاصف •

وعلينا أن نعزيز تنظيماتنا السرية كيما نكفل للنشاط المسلح أساساً راسخاً في كل جزء من البلاد ، ونوجه ونقود سخط الجماهير وأعمال الشعب النضالية • فوجود قيادة مجربة مخصصة للمؤتمر الوطني الأفريقي والحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا ذات جذور عميقة وسط الشعب هو وحده الذي يمكن أن يكفل الاستجابة التكتيكية والسياسية السليمة لوضع متغير متطور بسرعة ، وتزيد أهمية ذلك حين نأخذ في اعتبارنا أن أعداداً كبيرة من الشباب والطلاب قد تعلمت من خبرتها الذاتية أن عليها كيما تهزم العدو أن تكتسب المهارات السياسية والعسكرية اللازمة التي لا يمكن أن توفرها سوى الهياكل السرية حسنة التنظيم للمؤتمر الوطني الأفريقي والحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا •

ويعمل حزبنا الآن بطاقة مضاعفة في صفوف مختلف الطبقات وأقسام السكان ، بما فيها العناصر الديمقراطية والتقدمية بين السكان البيض • وقد اتخذ الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا بقوة متجددة الخطوات اللازمة لتنظيم الطبقة العاملة ، وتنقيفها السياسي ، وبخاصة على مستوى المصنع ، ونشر العلم الماركسي اللينيني على نطاق أوسع • ونحن نؤيد كل التأييد مؤتمر نقابات جنوب أفريقيا ، وهو جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني ، في نضاله من أجل تحسين ظروف عمل العمال السود وزيادة أجورهم ، وتوسيع الحقوق الضئيلة للنقابات

الافريقية ، وتنظيم العمال السود فى نقابات نضالية ، وتعبئتهم من أجل وحدة  
الهدف وعمل على نطاق البلاد ، وتطوير هياكل سرية قابلة للحياة فى مجال  
الحياة .

لقد أبدى الشباب والطلاب المناضلون مدى استعدادهم للتضحية من أجل  
التحرر الوطنى والاجتماعى . وينبغى أن نبث مضمونا ثوريا وسياسيا أوضح  
فى المنظمات الجماهيرية التى يعبر من خلالها هذا العدد الكبير من الشباب  
والطلاب عن آمهم وآمالهم . ومن السمات المشجعة فى الفترة الاخيرة تزايد  
سعى المناضلين الشباب الى فهم أعمق للماركسية اللينينية . ومن الامور ذات  
الاهمية الحيوية لمستقبل الثورة أن نضفى مضمونا اجتماعيا أكثر وضوحا على  
الرفض العقوى للرأسمالية الذى يعبر الشباب والطلاب المناضلون عنه بقوة .

ولاشك فى أن قدرة حركتنا على تعبئة الجماهير العاملة فى الريف وتنظيمهم  
أمر بالغ الاهمية لتوسيع حرب الانتصار . ويرتبط النهوض الثورى على نطاق  
البلاد ارتباطا وثيقا بتنشيط جماهير الريف لأعمال سياسية أكثر فعالية . وقد  
زادت أهمية ذلك بعد عجلة فورستر المحمومة فى تنفيذ سياسة البانتوستان  
العنصرية .

وتبحث الدوائر الحاكمة فى جنوب أفريقيا بشكل متزايد - بتحريض من  
الامبريالية العالمية - عن طرق أخرى غير القوة الوحشية والارهاب السافر  
للإبقاء على هياكل العنصرية والرأسمالية الاحتكارية الاساسية . ويتطلب هذا  
مساندة متعاونين سود . كما يسعى العنصريون عن طريق سياسة البانتوستان  
الى خلق صنفوة ادارية ورأسماليين صغار يطابقون بين مصالحهم ومصالح السادة  
البيض ، ولن ندخر جهدا فى تحطيم مخطط البانتوستان الرهيب . وينبغى ألا  
نسمح بأى امكانية للاعتراف الدولى « باستقلال » ترانسكي وبوبوتسوانا .

ويبذل نظام الحكم العنصرى جهودا لابعاد الفئات الوسطى السوداء فى المدن  
عن حركة التحرر الوطنى ، ودفعها الى معارضة أهداف نضالنا الاجتماعية . غير  
أن أهداف حركة التحرر الوطنى تمثل كذلك أمانى الفئات الوسطى السوداء  
التي تعاني نفس شكل القهر القومى الذى يعاني منه غيرها ، والتي يخلق الفصل  
العنصرى ابداعها ومبادئها . وينبغى أن نذكر أن كثيرا من المجموعات التجارية  
والهنية قد وقفت الى جانب الشباب والعمال فى أحداث سويتو .

ومن جوانب عملنا الحاسمة أن نكون وحدة أوثق بين السود المقهورين  
الافريقيين والملونين والهنود . فقد قدم نظام الحكم العنصرى ، الذى يستخدم  
سياسة فرق تسد ، بضع تنازلات أساسا للبرجوازية الصغيرة الهندية والملونة .  
غير أن معارضة هذه السياسة ومعارضة مجلس هنود جنوب افريقيا والمجلس

النيابي للملونين الذين خلقتهم الحكومة تتزايد . وينبغي مضاعفتها ، فمصالح الهنود والملونين ترتبط ارتباطا لا ينفصم بمصالح الشعب الافريقي . وبلادنا تحتاج الى الجبهة الموحدة لكل المهوديين أكثر من أى وقت مضى ونحن ندخل المرحلة الحاسمة في النضال من أجل تصفية قلعة العنصرية والاستعمار .

ولاداء هذه المهام لابد من تعزيز روابط العلاقات الرفاقية التي انصهرت بين المؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا فى لبيب المعركة . وليس للحزب مصالح عاجلة تختلف عن مصالح المؤتمر الوطنى الافريقى ، فكلا المنظمين تعمل ما فى وسعها للاطاحة بنظام الحكم العنصرى ، واقامة حكومة ثورية تتخذ اجراءات فعالة ضد رأس المال الاحتكارى ، وتقوم بالتحويل الجذرى للبنى والمؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية .

وتشير الحملة العالمية الواسعة الحالية لعزل جنوب افريقيا العنصرية فى كافة المجالات احساسا عميقا بالعرفان لدى كل الثوريين والوطنيين فى بلادنا . فحتى اصداقاء نظام الفصل العنصرى يجنون من الصعب عليهم أن يدافعوا عنه علنا . ونحن نرحب بقرار الامم المتحدة باعتبار عام ١٩٧٨ عاما عالميا لمناهضة الفصل العنصرى ، وندعو كل القوى المحبة للسلام والمعادية للعنصرية الى أن توفر له النجاح . وينفى استخدام الحملة خلال هذا العام - الى جانب الجهود لمقاطعة جنوب افريقيا العنصرية - لضمان أقصى مساندة للمؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا ، وفضح محور تل أبيب - بريتوريا العنصرى المتسح ، ومؤامرة بون - باريس - بريتوريا النووية ، ومحاولات توطين بيض من روديسيا وجنوب افريقيا فى بوليفيا ، والمطالبة بالافراج عن كل السجناء السياسيين والذين يعانون فى سجون فورستر وغرف تعذيبه .

ونحن شيوعى جنوب افريقيا نعبر عن تقديرنا العار لرفاقنا فى السلاح فى الحركة الشيوعية العالمية ، وفى الاسرة الاشتراكية ، وللتأييد الذى تقدمه لنا بلدان عدم الانحياز ، والدوائر الديمقراطية الواسعة ، ومختلف المجموعات المناهضة للفصل العنصرى فى البلدان الرأسمالية ، التى بذلت الكثير للدعاية لنضالنا ومساندته .

ويتضح بصورة تتزايد باضطراد أن اللماء التى بذلها شعبنا ، والتعذيب غير الانسانى الذى تعرض له وطنيونا ، والسجن الذى يعانى منه أبطالنا ، لم تذهب كلها عبثا . فسيقبحها انتصار حركة التحرر الوطنى تماما كما يعقب الربيع الشتاء .



# التكوين الفكرى للطبقة العاملة فى اليونان

بقام: أنطونيس امباتيلوس

ظل حزبنا طيلة السنوات الثلاث والنصف الماضية ، منذ ان أصبح قانونيا ، يعمل لتنشيط النضال لكسب اغلبية الشعب اليونانى ، وبخاصة الطبقة العاملة لجانبه ، ولتحقيق تحولات اجتماعية جذرية فى بلادنا . وقد احرز الحزب الشيوعى العديد من النجاحات فى مجرى هذا النضال ، بيد ان نشاطه كشف كذلك عن عدد من النواقص .

وتجلت هاتان السمتان بوضوح خلال الانتخابات البرلمانية الاخيرة فى خريف العام الماضى عندما حقق الحزب الشيوعى انتصارا سياسيا بحصوله على ما يقرب من نصف مليون صوت ( ١٠ ٪ من مجموع الاصوات ) بالمقارنة مع ربع مليون فى عام ١٩٧٤ ، وفاز بما يزيد على ضعف مقاعده السابقة فى البرلمان « ه فى الماضى و ١١ الآن » . وكان هذا الانتصار هاما بشكل خاص فى مقابل الهزيمة السياسية الشاملة التى تكبدها الحزب التحريفي الذى حصل على مقعد واحد فحسب .

بيد أن الانتخابات اظهرت أيضا ان اغلبية الطبقة العاملة في اليونان ما تزال تصوت للحزب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، وذلك على الرغم من حركة الاضرابات المتنامية . وتجدر الاشارة الى أن عدد العمال المهاجرين الذين شاركوا في الاضرابات - على الاقل مرة واحدة باستثناء أول مايو - كان أكثر من ١٥ مليون في عام ١٩٧٧ . ويعني هذا ان حوالي مليون منهم ( أو ما يزيد على ذلك في الواقع لان بعضا من النصف مليون الذين صوتوا للشيوعيين ليسوا من الطبقة العاملة ) صوتوا في الانتخابات دون اكترات بمصالحهم السياسية الموضوعية .

ولست نتائج الانتخابات بالطبع سوى مؤشر جزئي ، وهي لا تعكس بصورة تامة رغبة الجماهير العاملة في تحولات جذرية عميقة . ومع ذلك تبقى الحقيقة قائمة ، وهي أنه رغم أن أغلبية الطبقة العاملة تؤيد أهداف وتكتيكات الشيوعيين المحددة خلال المعارك اليومية على الدوام ، فإنها لم تقنع حتى الآن بضرورة أو امكانية تحقيق التحولات الجذرية التي حددها الحزب الشيوعي اليوناني بوصفها أحد أهدافه البرنامجية .

وبالتالي ينبغي لنا مواجهة القضية العامة للطبقة العاملة ، أو جزء منها على أية حال ، تلك القضية الماثلة في أنها لا تتبع الشيوعيين الذين يعبرون عن أيديولوجية البروليتاريا بل تتبع اعداءها السياسيين . وهذا يعني أن حجج الشيوعيين لا تحظى دائما بالاستجابة المطلوبة بين الجماهير .

لماذا ؟ تكمن الاجابة ( حسب الظروف الملموسة في كل بلد ) في مجموعة معقدة من الاسباب والظروف ، الذاتية والموضوعية ، بما في ذلك بعض الاسباب والظروف التي تكمن جذورها في تاريخ البلاد والطرق والسمات الخاصة لتطور حركة الطبقة العاملة فيها .

وإذا ما أخذنا نتائج الانتخابات في اليونان على سبيل المثال فإننا يجب أن نأخذ في الاعتبار الحقيقة الماثلة في أن الحزب منذ خروجه في ظروف السرية لم يكن لديه وقت بما فيه الكفاية للعمل بشكل متواصل بين الجماهير العاملة لكسبها الى جانبه .

يضاف الى ذلك أنه في اليونان وربما في أي بلد رأسمالي آخر ، لا يمكن للإنسان أن يتجاهل عوامل مثل عدم المساواة بين الشيوعيين والقوى التقدمية بوجه عام من جهة ، والطبقات الحاكمة من جهة أخرى في وسائل التأثير الأيديولوجي على الجماهير .

فامكانية تأثير الشيوعيين على فئات واسعة من السكان ( لا سيما الفئات

غير البروليتارية » فى الظروف الحالية أضعف بكثير من امكانية أعدائهم  
الايديولوجيين من حيث الكمية .

اذ ان هؤلاء - كما ساوضح فيما يلى - يسيطرون على انظمة جبارة لوسائل  
الاعلام ، الحكومية والخاصة ، لممارسة اشد الضغوط الايديولوجية .

والهوة القائمة بين مستوى عمل طبقتنا العاملة السياسى ومشاركتها  
المحدودة فى النشاط النقابى طيلة تاريخها أمر يتردى أهمية بالقدر نفسه .  
فيكفى أن نقول أن نسبة الجماهير العاملة المنظمة فى النقابات هى حوالى ٢٠ ٪ .

ولكن مع الاعتراف بأهمية جميع هذه العوامل الموضوعية والذاتية ،  
ما من تحليل ماركسى يتكفى بمثل هذه البيانات . فلا بد من مواصلة التحليل  
بعمق لاطهار السمات المميزة لوعى جماهير الكادحين بوصفه واقعا موضوعيا  
يمثل فى كل لحظة معينة نتاج عوامل متعددة نموذجية بالنسبة للمجتمع  
لرأسمالى الحالى . وبعبارة اخرى فإن هدف تحليلنا يجب ان يتمثل فى  
تحديد تلك السمات الخاصة التى تكمن الايديولوجية البرجوازية من  
تضليل الجماهير أو - على العكس من ذلك وتمكن ايديولوجيتنا الثورية من  
الانتصار .

واحدى أهم القضايا وأكثرها حدة فى هذا الصدد هى قضية الوعى  
الطبقي للبروليتاريا بالذات ، والاشكال التى يتخذها فى المجتمع الرأسمالى  
الحالى ، والحدود التى يعمل فيها ، وعلاقاته مع انواع الوعى الاجتماعى  
الآخرى وهكذا دواليك .

ان الوعى الطبقي للطبقة العاملة ( أو أية طبقة أخرى ) يمثل - بالمعنى  
الفلسفى العام - جملة الافكار والآراء والمفاهيم والقيم والاحاسيس اللازمة  
للطبقة بوصفها كينونة اجتماعية محددة والتى تعكس الوضوع والتجربة  
والمصالح والسمات الاخرى للطبقة وتختلف عن آراءومفاهيم طبقات المجتمع  
الآخرى ، وبالتالي تجد تعبيرا عنها فى اشكال محددة للسلوك الطبقي  
( النشاط الطبقي ) .

ويمكن تحديد عدد كبير من العناصر المختلفة فى بنية الوعى الطبقي .  
وتتمثل هذه فى المعرفة والمفاهيم ( بما فى ذلك المفاهيم حول المستقبل  
والمثل ) والآراء والقيم والمعايير و « الصور » والانماط والعواطف والامزجة  
وهكذا دواليك . وتقع بعض هذه الاشياء ضمن عناصر الوعى الرشيدة  
والمنطقية المرتبطة بالدرجة الاولى او حتى بصورة كلية بعمل الذهن ، بينما  
يقع البعض الآخر ضمن عناصر الوعى الحسية والسيكولوجية . وهناك مجموعة  
ثالثة ترتبط بمجال الفكر والعقلية فى آن واحد .

وهذا في حد ذاته يثير مسألة مستويات الوعي الطبقي . ويظهر التاريخ ان وعي مختلف الكيّنونات الاجتماعية ( الطبقات والفئات ) في الوقت نفسه شأنه شأن وعي الكيّنونة الاجتماعية نفسها في فترات تاريخية مختلفة من تطورها يمكن ان يتميز بمجموعات مختلفة من العوامل المذكورة اعلاه . . وهكذا يمكن في حالات مختلفة ان تسود في وعي الطبقة العاملة الطبقي اما العناصر الرشيدة أو العاطفية . كما يمكن في اطار اشكال منطقية بحتة ان يتفتح هذا الوعي على مستوى ما يعرف بالوعي اليومي ( الذي يتطابق بالدرجة الاولى - كما قال - ماركس - مع اشكال انعكاس الوجود العملية المباشرة ) او على مستوى الوعي النظري « العلم والايديولوجية » وهكذا دواليك .

ومن الواضح ان عملية تكوين وعي طبقي متطور في الطبقة العاملة ليشتمل مع أعلى مستوى لتطورها هي من مهام الحزب الشيوعي الهامة . ومثل هذا الوعي الذي يميز تحول البروليتاريا من طبقة « في ذاتها » الى طبقة من أجل ذاتها « يعني أن جماهير واسعة من الطبقة العاملة وأغلبية الطبقة تدرك وضعها وظروف وجودها في المجتمع الرأسمالي وعلاقتها بالطبقات والفئات الأخرى في المجتمع وكذلك بالدولة الرأسمالية وهكذا . دواليك ، وبالتالي ندرك دورها في التطور التاريخي للمجتمع ورسالتها الاستراتيجية الأساسية في التصفية الثورية للنظام الرأسمالي القائم .

وتعلمنا التجربة التاريخية أن الطبقة العاملة ليست قادرة باعتماد على نفسها أن تكتسب سوى الاشكال الجينية من الوعي الطبقي ( التي تتطور داخلها ) ، وان الوعي الطبقي المتطور « يأتيها من الخارج » ، من العلم عن طريق تطوير الايديولوجية الماركسية - اللينينية الثورية ، والدمج بين هذه الايديولوجية وحركة الطبقة العاملة المتطورة عضويا وتجربة نضال جماهير الكادحين نفسها .

وعلى الرغم من أن وعي البروليتاريا الطبقي يمثل ولا ريب تشكيلة متكاملة تميز الطبقة العاملة عن طبقات المجتمع الأخرى ، فإنه يتميز في أية لحظة معينة من وجوده التاريخي بهذا القدر أو ذاك من عدم التجانس . ويتمثل الأمر بالدرجة الاولى في مضمون الوعي الطبقي في الاختلافات في المعرفة والمفاهيم والعواطف المشتركة بين مختلف فئات الطبقة . ولكن لعدم التجانس هذا طبيعة أعمق اذ يؤثر على مستويات وجود الوعي الطبقي ، ونتيجة لذلك يمكن أن يدرك جزء من الطبقة وضع الطبقة في المجتمع ومصالحها واهدافها ومهامها في النضال وما الى ذلك على مستوى الوعي الشيوعي فيما يدرك جزء آخر هذه العوامل في شكل آراء نظرية وحقائق علمية .

هل يمكن تخيل الوضع الذي تظهر فيه جميع فصائل الطبقة العاملة

( المهنية أو الاقليمية أو العمرانية والنخ ٠٠ ) ناهيك عن جميع أعضاء الطبقة وحيدة مطلقة في المواقف حول جميع القضايا ، وعيا طبقيًا متماسكا ؟ ان هذا ليس سوى تجريد على الأرجح لانه حتى في اكثر اللحظات اشراقا في حياة البروليتاريا ، في فترة معاركها الطبقيه العظيمة وعملها الثوري ، عندما يكون لفهم المصالح الطبقيه والتضامن الطبقي قيمتها وممتشرين الى اقصى درجة - حتى في مثل هذه اللحظات كما نعلم جميعا - يظل هناك تمايز بين القسم المتخلف من البروليتاريا والقسم المتقدم ، بين الجماهير والطليعة بين الطبقة ومفكرى الطبقة .

وهذا امر طبيعي تماما . والموضوعية المتعلقة بعدم تجانس الوعي الطبقي ( في أية لحظة من لحظات وجوده ) تنشأ بشكل مباشر من موضوعية أخرى بها ونعنى بها أن الوعي الطبقي عامل تاريخي .

ان الطبقة العاملة لا تظهر جاهزة في أى بلد من البلدان كما ظهرت اثينا من رأس دايوس . فهي في كل بلد تشق طريقه طويلا ومعقدا في تطورها سوية مع شعبها وطبقات المجتمع الأخرى ، وتاريخها جزء من التاريخ الأوسع لتطور المجتمع الاقتصادى والاجتماعى . وهي تقوم بتطوير وعيها الطبقي كطبقة بكاملها عبر هذا الطريق . ونحن نجد في كتابات لينين بعض أمثلة التحليل الفلد لاصول وعي الطبقة العاملة في روسيا من « احساس غامض بالكراهية نحو المستغلين الى تطور احساس بالوحدة ، احساس بالتضامن أولا بين عمال منطقة معينة ثم بين عمال البلاد بأسرها ، بين الطبقة العاملة بكاملها » « المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ » .

وقد تطورت البروليتاريا ووعيها الطبقي بصورة مماثلة في بلدان أخرى من بينها اليونان .

تشكلت طبقتنا العاملة في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ونمت نموا سريعا بشكل خاص بعد تحرير المناطق اليونانية وكرثة آسيا الصغرى ( ١٩٢٢ ) على اساس « جيش احتياطي » واسع من اللاجئين في ذلك الوقت . ويظهر انها كانت تنمو أسرع مما كان ينمو السكان ككل . واستمر وضع مماثل ، ولو بوتيرة بطيئة نسبيا في الفترة التالية عندما انتقل الاقتصاد الوطنى من التطور الأقفى الى التطور الكثيف . وكانت نسبة الطبقة العاملة في اليونان قبل الحرب ١٥٪ فقط من السكان النشيطين اقتصاديا ولكن ارتفعت نسبتها في بداية ١٩٧٨ الى ٤٦٫٢٪ بينما يبلغ عدد البروليتاريا الصناعية وحدها ( ٥٥٠٫٠٠٠ ) وفي العقد الماضى اتسعت نواة الطبقة العاملة بشكل ملحوظ فبين ال ( ٥٣٢٫٠٠٠ ) شخص الذين يعملون في الصناعة واسعة النطاق والانتاج الحرفى الصغير يعمل الآن « ٣٥٠٫٠٠٠ » في المصانع ، بما في ذلك ( ٢٠٠٫٠٠٠ ) في مؤسسات يعمل فيها ما يزيد على مائة عامل .



وفى الوقت نفسه فإن طبقتنا العاملة تشكلت تاريخيا فى صناعة المنتجات الزراعية « المواد الغذائية والتبغ » بدرجة رئيسية ، واستخراج بعض المعادن وصناعة انبضائع المعدنية الخفيفة ونتيجة لذلك ما يزال جزء كبير منها يعمل فى الانتاج الصغير ويلتقى مع الفئات الصغيرة للطبقة ، التى ليست على صلة فيما بينها . ومن الواضح ان خصائص البروليتاريا اليونانية ذات الجذور التاريخية توضح الكثير حول حالة وعيها الطبقي ووعيتها الذاتى . وبالنظر الى قضية عدم تجانس الوعي الطبقي للمرأة ان يأخذ فى الاعتبار أن الطبقة العاملة الحديثة « مثل القديمة » كل معقد وجسم حى لا يتغير على المستوى التاريخي عبر عشرات السنين فحسب ، بل فى كل لحظة معينة من وجودها فهى تتغير أولا من حيث تركيبها باستيعابها لفصائل جديدة من صفوف الطبقة العاملة نفسها جزئيا ( اطفال اسر الطبقة العاملة ) ومن فئات السكان الأخرى كذلك ، ولا سيما من الفلاحين الذين ينزحسون الى المدن ، والفئات الوسطى المدنية وهكذا دواليك .

ومن الواضح تماما ان جميع هؤلاء الناس لا يرتفعون الى مستويات الوعي الطبقي البروليتارى عندما يصبحون جزءا من البروليتاريا .

وبنظير ، يسعى الحزب والفصائل المتقدمة من الطبقة العاملة الى الاسراع بهذه العملية خلال العمل الثقيفي والتنظيمي والدعائي . ونتيجة لذلك فان بعض اعضاء البروليتاريا الجدد يكونون اسرع من الطبقة بكاملها فى استيعاب افكار الطبقة وقيمها التقدمية ، ويصبحون واعين لوضعها فى المجتمع الرأسمالى ولهام واهداف واشكال نضالها . ولكن من المعروف ان مثل هذا النشاط الحزبي لا يسفر دائما عن النتائج المطلوبة ، وحتى فى حالة النجاح فان تحقيق هذه النتائج يقتضى بعض انوقت ، بل ويقتضى وقتا طويلا بالنسبة لبعض فئات السكان . ولذا فأنا فى كل لحظة معينة نجد فى وعي الطبقة « قطاعات » فى مختلف مراحل تطور الوعي الطبقي بكامله .

ويرى بسهولة ان عدم التجانس هذا فى وعي البروليتاريا الطبقي يعتمد بالدرجة الاولى على عدم تجانس مصادر تشكله المنعكس فى بنية الطبقة العاملة المعقدة لقد كتب لينين قائلا « ان الرأسمالية لن تكون رأسمالية لو لم تكن البروليتاريا فى حد ذاتها محاطة بعدد كبير من الانواع الوسيطة المتنافرة للغاية بين البروليتاريا ، وشبه البروليتاريا ، والفلاح الصغير ، والحرفى الصغير وصاحب الحرفة اليدوية والماهر الصغير بوجه عام ) ، وبين الفلاح الصغير والفلاح المتوسط وهكذا دواليك ، ولو لم تكن البروليتاريا نفسها مقسمة الى فئات اكثر تطورا واقل تطورا ، ولو لم تكن مقسمة وفقا للطائفة والمهنة والدين احيانا وهكذا دواليك » ( المجلد ٣١ ، ص ٧٤ ) .

وهذا صحيح فى يومنا هذا كذلك . وفى الواقع انه اكثر صحة اليوم ،

وذلك - فى اعتقادنا - ليس بالنسبة للبلدان التى تحررت مؤخرًا من الاضطهاد الاستعماري وانتهجت طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى المستقل ( حيث يكون التركيب الاجتماعى للبروليتاريا الناشئة متفاوتًا بشكل خاص ) فحسب ، بل وبالنسبة للبلدان الرأسمالية المتطورة ، حيث تشكل الطبقة العاملة خلال عمليات عاصفة الى اقصى درجة ، ليس فقط من «اسفل» من الفئات شبه البروليتارية والبرجوازية الصغيرة ( الفلاحية ) ، بل أيضا من « الجانِب » وحتى من « القمة » - من الفئات الوسطى والموظفين والمتقنين .

وفى اليونان مثلا تتسع الطبقة العاملة من فقراء ومتوسطى الفلاحين فى شكلين : مباشر وغير مباشر . ففى الشكل الاول تشمل هذه العملية صخرة داخلية لينزح خلالها ما يزيد على ٧٦٪ من المهجرين ( الذين لا يرجع اصلهم الى الطبقة العاملة ) من الريف الى المدينة ويدخلون فى صفوف الطبقة العاملة وهؤلاء الاشخاص يؤلفون الآن جزءا كبيرا - يزيد على ١٠٪ من هذه الطبقة . وفى الشكل الثانى يجرى تحويل هذه الفئات من الفلاحين الى عمال كسبة الاجور « سواء بصورة دائمة او موسمية » مع تشكل المناطق الصناعية فى المحافظات ، ولكنهم يبقون أيضا مالكين لقطع صغيرة من الارض ( مزارع ) ، الامر الذى يعنى أن تحويلهم الى اعضاء فى الطبقة العاملة غير كامل موضوعيا .

وبديهى أن لهذا الامر اثرا ملحوظا على مستوى الوعي بين مثل هؤلاء الناس . فبدلا من اتخاذ الموقف « المزدوج » المعادى للرأسمالية مع العامل المستغل والفلاح المضطهد فانهم بوصفهم حملة لايدىوتوجية الملكية الصغيرة يجنحون الى الحفاظ على وعى طبقي غير متطور لوقت طويل ويبقون حبيسي الانكار المزيفة التى تولدها ظروف الحياة فى المجتمع الرأسمالى وتنشرها الدعاية البرجوازية . ووهمهم الرئيسى الذى ظل الحزب يناضل بشكل متواصل هو انهم يستطيعون ان يعرضوا على نقص دخولهم من بيع المنتجات الزراعية بالاجور ، أو وبالعكس ، ان يعرضوا عن نقص الاجور بالدخول من قطعة الارض . مثل هذه الاوهام يبددها الواقع الرأسمالى لان اسعار المنتجات الزراعية كثيرا ما يكون أقل من الاجور ( وبالتالى فان جزءا من الاجور الذى يتم الحصول عليها عن طريق بيع قوة العمل يذهب لتغطية الفرق بين تكاليف الانتاج والدخول من بيع المنتجات ) . ولكن يتضح ان هذه الاوهام مسيطرة للغاية ، وتبقى عاقلة باذهان صغار المالكين لوقت طويل .

ويتعين على حزبنا ان يعالج قضايا من نوع مختلف عند تحليل تشكل الطبقة العاملة فى ارتباط بتأثيرات الثورة العلمية والتكنولوجية ونفطل العلاقات الرأسمالية فى صناعات الخدمات . واحدى هذه القضايا حالة الوعي بين الفصائل البروليتارية الجديدة التى ما تزال صغيرة ولكنها تنمو بشكل متواصل ، والتى تتألف من المتقنين فى مجال العلم والتكنولوجيا

الذين يقومون بعمل ذى طابع خاص ( ذهنى بدرجة رئيسية ) ويعملون فى ظروف نشاط خاص وهكذا دواليك . وتشير معلوماتنا الى ان هذه الفئات من العمال المأجورين تؤلف الآن حوالى ٧٪ من الطبقة العاملة ، ونتيجة لاصولها ( البرجوازية الصغيرة بالدرجة الاولى ) ووضعها الخاص ضمن بنية الانتاج الاجتماعى والخدمات الاجتماعية كثيرا ما تتأثر بآراء غريبة على ايدولوجية البروليتاريا . ومن السمات المميزة لها أنه أما أن تعبر عن رادباليه متعصبه واما تتبنى مختلف النظريات الاصلاحية حول « اختفاء » الطبقة العاملة غياب الفروق الجوهرية بين النظامين الاجتماعيين - السياسيين المتنافسين فى العالم الحديث و « التقارب » بين هذين النظامين وهكذا دواليك .

وبالطبع فان هذه الفصائل الجديدة من الطبقة العاملة ( والفصائل الاخرى التى لم أذكرها هنا ) لا توجد فى أى شكل « بعث » . ولكن هذه النظرية النابعة من اعتبارات منهجية تمكننا من ان نفهم بصورة أفضل فعل العوامل التى تؤدى موضوعيا الى التمايز فى وعى الطبقة وان نفهم القانون الهام الذى يجرى بموجه بصورة حتمية « تآكل » وتشوية كل مستوى من مستويات الطبقة العاملة بفصائل جديدة .

ان « المجال » التالى لتحليل عدم تجانس الوعى الطبقي للطبقة العاملة يتجاوز اطار الطبيعة الاصلية للوعى القائم التى ترتبط ببنية الطبقة واساليب ومصادره ووتيرة تشكيلها وهكذا دواليك . ومن المعروف على اية حال انه حتى ممثلى الطبقة الذين ينتمون الى « كادرها » ، يمكن أن يظهروا اختلافات كبيرة فى مواقفهم وآرائهم وسلوكهم وهذا عامل حقيقى فى نشاط الشيوعيين العملى ، ترافقه قضايا حادة مثل التوجه الاشتراكي - الديمقراطى الانتهازى اليميني « غير الشيوعى » بل والمعادى للشيوعية فى كثير من الاحيان « لدى قسم من البروليتاريا نفسها كما « قال لينين » ، او ارتباط بعض « فئات » هذه البروليتاريا بقوى وأنظمة حكم رجعية بصورة فاضحة وهكذا دواليك . وفى هذه النقطة من تحليلنا نصل الى المفهوم النظرى الهام بأن الوعى الطبقي ( لهذه الطبقة او تلك ) لا يوجد فى المجتمع بمعزل عن أشكال الوعى الاجتماعى الاخرى او بشكل موازى لها ، بل يرتبط بالآلاف الخيوط ، ونعنى ، أن **الوعى الطبقي** للبروليتاريا ( كما هو الحال بالنسبة لآى طبقة من طبقات المجتمع الاخرى ) لا يتوافق مع **الوعى الواقعي** الاوسع الذى تكون الطبقة العاملة ( أو ، أى طبقة أخرى ، حسب الحالة المذكورة ) وسلبته فى كل لحظة معينة من تطورها وفى الواقع أن لهذا المفهوم جانبين . قد يبدو أحدهما بديهيا ( رغم انه يقىب عنا أحيانا فى تكوين وعى البروليتاريا الطبقي وتربية الجماهير ثوريا ) .

وهو أن الافراد والعمال وممثلى الطبقة البروليتارية الذين يؤلفون تلك الطبقة ( الاجزاء التى تؤلف الكل ) ينتمون فى آن واحد الى كينونات اجتماعية

أخرى واسعة الى هذا الحد أو ذاك ديموجرافية ومنطقية وعرقية وأمم ،  
ومجموعات متجاوزة النح •

وهكذا فان ٣٦ ٪ من الطبقة العاملة في اليونان اليوم تتألف من  
النساء ، و ٢٣ ٪ من الشباب • وكلاهما من فئات السكان المميزة ذات القضايا  
المميزة والعقلية المميزة والمواقف المميزة من أهداف وأشكال الصراع الطبقي •  
ويشكل المهاجرون من بعض البلدان الآسيوية والأفريقية ٣ ٪ من طبقتنا  
العاملة والجزء الآخر من ممثلي الاقليات القومية • وبالطبع فان لهذه الفئات  
من الطبقة العاملة سمات أكثر خصوصية من حيث ظروفها الموضوعية ووعياها •

ومن الواضح أن العمال بوصفهم أعضاء الطبقة هم خالقو الوعي المميز  
للتلك الطبقة ووسائله ، ذلك الوعي الذي ينسجم مع وضع البروليتاريا في  
المجتمع ويعكس مصالحها ويختلف عن وعي الطبقات الأخرى وهكذا دواليك •  
وهؤلاء العمال أنفسهم – بوصفهم أعضاء في كينونات أخرى – يشاركون في  
خلق ونشر عناصر الوعي والمختلفة والمميزة عن العناصر الطبقيّة ، وذلك بجانب  
أعضاء طبقات وفئات السكان الأخرى داخل الكينونة • وفي المجتمع – فضلا  
عن كل شيء آخر – يوجد أيضا وعي « إنساني عام » مطابق لبعض المفاهيم  
الأخلاقية بوجه عام والحقائق « الخالدة » وقيم الثقافة العالمية ( العلم والفن ) ،  
وما يدعى بالوعي التاريخي الذي يعبر عن مواقف الناس إزاء ماضي بلادهم  
ومستقبلها • وهناك أيضا أشكال عادية لاستيعاب التحولات على مستوى الوعي  
اليومي • وثمة كذلك الوعي التقليدي الذي يتخذ شكل العادات الوطنية  
والعرقية وغيرها من العادات والافضليات والثغرات ونماذج المواقف من الواقع ،  
والوعي المميز لمختلف الأعمار ( مثل وعي « الشباب » الذي ظهر بقوة في بعض  
البلدان الرأسمالية في العامين الخالدين ١٩٦٨ و ١٩٦٩ ) وهكذا دواليك •

والجانب الآخر من هذه الظاهرة – عدم التوافق بين الوعي الطبقي والوعي  
الواقعي للطبقة – هو أكثر تعقيدا • وهو يتمثل باختصار في أنه في المجتمع  
الرأسمالي الحالي الذي تسوده عمليات واسعة النطاق ، لا تمتد هذه العمليات  
الى مجال العمل والاستهلاك والترفيه والعلاقات الإنسانية فحسب ، بل وإلى  
مجال الوعي الاجتماعي أيضا •

وهذا يعني أن العمال الذين يمثلون الطبقة البروليتارية ، شأنهم شأن  
ممثلي جميع طبقات وفئات المجتمع الأخرى ، هم في ظروف الرأسمالية الحالية  
أيضا أعضاء في مجموعات مستقرة من أعضاء المجتمع مثل مستهلكي بضاعة  
معينة وقراء صحيفة معينة وهواة رياضة معينة ومعجبة بنجم سينمائي معين  
وهكذا دواليك •

وظهور مثل هذه المجموعات في مجال الوعي الاجتماعي ترافقه ظواهر  
واسعة الانتشار مثل نقل نمط من التفكير وخلق ولح عام بشخص معين أو شيء

أو رمز معين ، وقبول جماهير واسعة من السكان لصيغ لغوية باهرة في الظاهر ولكنها فقيرة للغاية في الواقع ، تصبح أنماطا مكررة في الوعي وهكذا دواليك .

وجميع أنواع الميكانيزم هذه تفرض « بالطبع على الاشكال العادية التي يعمل فيها وعى الجماهير اليومى الى درجة أن مختلف « التركيبات » اللفظية تصبح بديهيات مسلم بها بعد ترديدها ملايين المرات . والاهمية الخاصة لمثل هذه البديهيات هي انها بغض النظر عن تجربة الفرد الشخصية لا يجرى استيعابها باعتبارها أصيلة و « شخصية » بصورة مطلقة فحسب ، بل وتقوم بتنظيم السلوك الانساني مؤثرة على اسلوب تلقى المعرفة الجديدة وعلى الممارسة اليومية المباشرة .

ومن الواضح أن هذا كله يزيد من عدم تجانس وعى البروليتاريا الواقعى ويمنح هذا في الوقت ذاته الى تعقيد عمل الحزب الشيوعى في تكوين الوعي للطبقة لدى الطبقة العاملة وفقا لايديولوجية الماركسية - اللينينية . وعندما يصوغ الشيوعيون ايديولوجية البروليتاريا العلمية ، وبخاصة عندما يدخلونها في أوساط العمال يتعين عليهم أن يأخذوا في الاعتبار وجود مثل هذه الانواع من الوعي الاجتماعى .

فتجاهل هذا الجانب من المسألة والغفل في مراعاة خصائص وعى العمال الواقعى وبالتالي « خفايا » الميكانيزم الذى يكون وعيهم الطبقي يمكن أن يضعفا فعالية تأثيرنا الايديولوجى على الجماهير ويؤدى الى فقداننا لفئات كبيرة أو صغيرة من الطبقة من زاوية تثقيفها الثورى ونشر ايديولوجية الشيوعية العلمية وسطها .

والقضايا المطروقة في هذه المقالة لا تحظى باهتمام الحزب الشيوعى اليونانى فحسب ، بل والبرجوازية اليونانية التى تدرك أن وجود مختلف الفصائل داخل الطبقة العاملة و « امتزاج » الطبقة العاملة ( على مستوى الوعي ) بمجموعات وفئات السكان الأخرى ، يؤدى الى هوة كبيرة بين الوعي الطبقي البروليتارى المتطور الذى يجرى التعبير عنه بشكل متواصل فى ايديولوجية وسياسات حزب البروليتاريا الثورى ، والوعى الفعلى للعمال فى البلاد فى أية لحظة معينة . وبالتالي فانها تسعى الى توسيع هذه الهوة عن طريق ميكانيزم انتاج وتوزيع المعلومات والدعاية الكاملة ، عن طريق جهاز الدولة والكنيسة ونظام التعليم ونظام التربية الخ .

لقد أعطى ماركس تعبيراً موجزاً على تحو رائج عن الطبيعة الاجتماعية لعدم مساواة مختلف الطبقات والفئات في المجتمع الرأسمالى من حيث امكاناتها لاستخدام الوسائل المتوفرة للتأثير الايديولوجى . فكتب في الايديولوجية الألمانية قائلا : « أن الافراد الذين يؤلفون الطبقة الحاكمة يملكون الوعي فيما

يملكون ، ولذا يفكرون • ولذا ، بما انهم يحكمون طبقة ويحددون مضمون حقبة معينة بكاملها فيديهي انهم يفعلون ذلك في مده الكامل ، ومن ثم يحكمون كمفكرين أيضا ، كمنتجين لأفكار ، ويقومون بتنظيم انتاج وتوزيع افكار عصرهم • وهكذا فان افكارهم هي الافكار السائدة في تلك الحقبة (١) وعدم المساواة هذا أصبح في يومنا أكثر وضوحا باعتبار أن البرجوازية تضع تحت تصرفها جميع التسهيلات التكنيكية الحديثة لممارسة تأثير هائل على الوعي الانساني •

وطبيعي أن البرجوازية تستخدم جميع هذه الوسائل لنشر أيديولوجيتها الطبقة الامبريالية لكن نشاطها في هذا المجال من مجالات الصراع الطبقي ليس مقصورا الآن على هذا الجهد ، بل يشمل عدة جوانب أخرى مرتبطة بابقاء الوعي الطبقي لدى الطبقة العاملة في مستوى منخفض نسبيا من التطور وزيادة تجانسها وتشويه الوعي في النهاية وتذويبه في أنواع أخرى من الوعي الاجتماعي بما في ذلك الانواع غير الطبيعية ، التي تميز المجتمع الرأسمالي الحالي •

والبرجوازية اليونانية - على الخط الاول لنشاطها - تسعى مثلا الى اقناع العمال بأن الرأسمالية كانت وستبقى نظامهم الوحيد • ولم تعد هذه الفكرة مقبولة بسهولة مثلما كانت في الماضي ولذا يحاول مفكرو الطبقة الحاكمة تقوية حجمهم وجعلها مقبولة للجماهير • ونتيجة لهذا الوضع ماعادوا ينكرون الآن أن للرأسمالية (بمعنى) السمات السلبية ، لكن هذا الاعتراف يستخدم بصورة واسعة لإثبات أن النعابة البرجوازية « موضوعية » ، ويرافقه الزعم بأن جميع الانظمة الاجتماعية « الأخرى » ( يعنون الاشتراكية ) « أسوأ » •

ومساعي الرجعية اليونانية هذه تهدف الى تثبيط وتضليل الجماهير العاملة وجعلها على التخلي عن النضال من أجل الاشتراكية وبالتالي اشاعة جو الترقب واللامبالاة • كما لا ينسى الرجعيون أساليبهم القديمة المجربة ابتداء من تقديم مختلف التنازلات للجماهير العاملة وانتهاء بالارهاب المكشوف •

وعلى الخط الثاني من النشاط الايدلوجي تستفيد البرجوازية اليونانية استفادة واسعة من شتى الاشكال بما في ذلك وضع بعض فئات الكادحين بصورة مصطنعة ضد البعض الآخر « مثل الفئات ذات الأجور العالية والفئات ذات الأجور المنخفضة » والتلاعب البارع بميكانيزم الوعي الجماهيري •

وهكذا فان البرجوازية التي تستغل عناصر الوعي القومي التقليدي تسعى الى اقناع الكادحين بالفكرة القائلة بأن الاحتكارين والعمال ينتمون الى الامة نفسها ، ولذا لديهم « مصالح قومية مشتركة » • وبعد فشل شعار الزمرة العسكرية الفاشي : « اليونان للمسيحيين اليونانيين » حاول الرجعيون صرف أمزجة الشعب المضطهد الانفجارية الى قضايا الهيبة الوطنية المرتبطة بحب الشعب لكرة القدم بيد أن هذه المحاولة الرامية الى افساد الوعي الطبقي باحت

(١) كارل ماركس وف • بريك انجلز : الايديولوجية الالمانية - موسكو ١٩٦٨ ص ١٦ •

بالفشل لان البلاد حتى في مجال الرياضة لم تكن لديها البنية الاساسية اللازمة ، كما أن النجاحات المتفرقة لم تستطع أن تخفى عجز نظام الحكم في هذا المجال كذلك . وتبذل جهود متعمدة في آن واحد لتشويه وعي الكادحين التاريخي وإعطاء الطبقة العاملة مفهوما أحادي الجانب حول الماضي وبالتالي حول الافق التاريخي كذلك . وهكذا ، بعد هزيمة الطبقة العاملة وحركتنا الشعبية بأسرها في الحرب الاهلية في أواخر الاربعينات حاولت البرجوازية نشر الانهزامية وسط الشعب وتصوير حزبنا « وغيره » على أنه حزب « أخطاء » وبالتالي إقناع الطبقة العاملة بأنها لن تلعب دورها التاريخي في المستقبل وهكذا دواليك .

وفي هذا النضال ضد الوعي الطبقي والوعي الذاتي للبروليتاريا وجدت البرجوازية الرجعية حلفاء لها بين المحرفين والاصلاحيين من كل لون ، الذين يزورون الواقع بشكل مكشوف أو مستور معلنين أن وعي الطبقة العاملة قد « اختفى » تماما في مواجهة أشكال الوعي الاجتماعي الجديدة مثل وعي الشباب ، وأن الاصلاحية والنقابية قد حققتا « انحطاطه » النوعي ، وأن المفاهيم العلمية التي صاغها ماركس أصبحت « بالية » على أية حال ويجب الاستعاضة عنها بمفاهيم أخرى وفقا لظروف المجتمع « الاستهلاكي » « الصناعي » و « ما بعد الصناعي الجديد » ، الذي يزعم أنه متحرر من التناقضات الطبقية .

لقد ظل الحزب الشيوعي اليوناني يعمل على عدة خطوط رئيسية في آن واحد لمقاومة جميع هذه الاتجاهات . واحد هذه الخطوط يتمثل في فضح جميع أفكار الايديولوجية البرجوازية والدعاية البرجوازية الهادفة الى الدفاع عن الامبريالية الحالية ونشر العداء للشيوعية وللسوفييت وكذلك تمزيق وحدة الطبقة العاملة وتشويه وعيها الطبقي وعيها الذاتي .

والخط الثاني لهذا النضال موجه ضد التحريفية والاشتراكية البرجوازية الصغيرة والمغامرة اليسارية في السياسة ، وتدعن معارضة ديماجوجية خدم أرباب العمل والاصلاحيين في النشاط النقابي . ويرتبط هذا النضال بمهام إعادة بنية تنظيم الحركة النقابية في البلاد وتأمين وحدتها . والخط الثالث هو قيام الحزب بنشر وشرح خطة السياسي بصورة واسعة كما هو محدد في وثائق المؤتمر الوطني العاشر للحزب الشيوعي اليوناني والعمل المتواصل بين الجماهير لشرح الاهداف الاستراتيجية والمهام التكتيكية في النضال ضد الامبريالية والمساعى الايجابية لتكوين وعي طبقي متطور بين الطبقة العاملة .

والخط الرابع يتمثل في الدراسة النظرية العميقة لقضايا تطور ونضال الطبقة العاملة وجماهير الكادحين في ظروف بلادنا المحددة ، ولاسيما تحليل بنية ووضع ودور الطبقة العاملة داخل نظام الانتاج الاجتماعي في اليونان ، وظروف عملها ومعيشتها وميكانيزم تكوين آرائها وهكذا دواليك .

ان قضايا الوعي الطبقي للبروليتاريا اليونانية أكثر تعقيدا بالطبع مما أوضحنا ولكن حتى هذه المقالة الاولى تظهر المهام النظرية والسياسية الهامة التي يجب أن يعالجها الشيوعيون في مساعيهم لتكوين وعي الجماهير الثوري .

# الموقف من العداء للشيوعية

علق قادة بارزون في الحركة الشيوعية العالمية على القضيتين  
التاليتين تلبية لطلب مراسلينا :

١ - الخطوط والاساليب النموذجية للدعاية المعادية  
للشيوعية في البلدان المختلفة .

٢ - الاساليب الاكثر فعالية في مكافحة العداء للشيوعية  
والعداء للسوفييت اليوم .

يكون العداء للشيوعية اقل فعالية عندما يتوق الناس في النضال من  
اجل تحسين حياتهم وفي سبيل السلم والديموقراطية . وبالنظر الى الحملة  
الشديدة المعادية للسوفييت ، التي تجرى الآن ، يرى حزبنا ان من الخطا  
اتخاذ موقف دفاعي او حتى توفيقى عند الهجوم على البلدان الاشتراكية .  
ونحن نروج انجازات الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى  
ونتمسك بدأب بنضالها من اجل الانفراج والتعايش السلمى ، وذلك  
فى مصلحة الشعب الامريكى والتقدم الاجتماعى فى العالم كله . ونرى ان  
أحد مهام حزبنا هى ان ننشر فى بلدنا الحقيقة حول دورها الاممى . ومن  
الضرورى ان ندحض ونهزم كل كذبة معادية للشيوعية والسوفييت ، قديمة  
كانت أم جديدة ، وكل افتراء معاد للشيوعية والسوفييت قديما كان أم  
جديدا .



لقد اكتسبت الحملة المعادية للشيوعية في الاونة الاخيرة ظللا جديدة وأدخلت عليها « تحسينات » • فبينما كان جميع الشيوعيين « أباسة » في الماضي ، يوجد الآن شيوعيون « أخيار » أو « مقبولون » وشيوعيون « سيئون » أو « غير مقبولين » • والفرق الرئيسى بين ( المقبولين ) ( وغير المقبولين ) هو الموقف من الاتحاد السوفيتى • اذ أن « المقبولين » هم أولئك الشيوعيون الذين يبرؤون انفسهم من الاتحاد السوفيتى ويفترون عليه • والشيوعيون « غير المقبولين » هم أولئك الذين يلتزمون بأمية الطبقة العاملة ويدافعون عن انجازات الاتحاد السوفيتى وبلدان الاسرة الاشتراكية الأخرى وسياستها السلمية •

ويستخدم العداء للشيوعية في بلادنا كوسيلة لارهاب العمال واضعاف وحدتهم وروحهم النضالية ، وهناك ايضا خوف الانسان من أن يفقد عمله فيعض العمال ، الذين يخافون من ان يوصفوا بانهم « حمر » ينكمشون. من المشاركة في النضال عندما يستدعى الامر ذلك ويتبعدون عن زملائهم العمال المناضلين وهكذا يستخدم العداء للشيوعية كوسيلة لتزيق وحدة الكادحين وعرقلة نمو وعيهم الطبقي •

وبوجه عام لم يقبل شعبنا العداء للشيوعية كتبرير للمقاومة العسكرية في الخارج مثل الحرب الوحشية ضد فيتنام أو التدخل ضد جمهورية الدومينيكان وهذا صحيح اليوم في الوقت الذى تصبح فيه الظروف أكثر ملاءمة لعزلة العداء للشيوعية وهزيمته •

أولا ، ان الرأسمالية الحالية بأيدولوجيتها المعادية للشيوعية تقدم اجابات عن قضايا البطالة الواسعة والعنصرية واضطهاد الاقليات العرقية والقومية وتقييد الحقوق الديمقراطية ونمو التضخم والضرائب وسرعة تكثيف العمل وتلوث البيئة والفساد وانهيار المدن وتدمير صغار الفلاحين والشركات الصغيرة وانحطاط القيم الثقافية والاجتماعية والمعنوية ويمكن فضح العداء للشيوعية بصورة اسهل واظهار الحقيقة حول الاشتراكية والشيوعية والاتحاد السوفيتى بمزيد من الفعالية • خلال النضال من أجل ألح حاجات الطبقة العاملة والسود والاقليات الأخرى التى تتعرض للاضطهاد والشعبية وفقراء الفلاحين والفئات الوسطى •

ثانيا ، ان مثال الاشتراكية القائمة – ولا سيما في الاتحاد السوفيتى – يوفر حجما لا يمكن دحضها تثبت تفوق الاشتراكية على الرأسمالية بخاصة فيما يتعلق بالقضايا المذكورة أعلاه ، وهذا المثال مهم للغاية كذلك لأن العديد من العمال فى الصناعة – وبشكل خاص فى الصناعات الأساسية – هم من اصل روسى وأوكرانى وبولندى والمائى وتشيكى وسلوفاكى وهكذا دواليك.

وفي النضال ضد العداء للشيوعية يقوم حزبنا ومختلف منظمات اليسار باصدار كتب ومنشورات وكتيبات ، وبتنظيم رحلات للمناقشة وعقد اجتماعات عامة في الاعياد والمناسبات المختلفة وبتشجيع وفود العمال الى البلدان الاشتراكية ودعوة وفود هذه البلدان . وعنه تناضل ضد قوانين وتعليمات وزارة الخارجية التي تستبعد أو تقيد الصلات بين الامريكيين ومواطني البلدان الاشتراكية منتهكة بذلك وثيقة هلسنكي الختامية .

ونفضح بشدة التعاون الطبقي الذي يدعو اليه جورج مينى والاشتراكيون الديموقراطيون اليمينيون .



## جاستون جينسيني

عضو لجنة الرقابة المركزية ورئيس القسم الايديولوجي  
في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإيطالي

أود عند الحديث عن الوضع في إيطاليا أن ألفت النظر بشكل خاص الى « المشكلة الشيوعية » وليس الى قضية العداء للشيوعية . وما أعنيه هو أنه نتيجة للنضال السياسي النشط لسنوات طويلة ونتيجة للتطور الدقيق لمواقف حزبنا البرنامجية والسياسية ، لم تعد قضية مشاركته في القيادة الفعالة للبلاد أمرا تقدره الطبقة العاملة والعديد من المواطنين الآخرين فحسب، بل أصبحت أمرا يعتبر ملحا .

وبدأت القوى السياسية الأخرى لليسار الديموقراطي ، من الاشتراكيين الى الاشتراكيين الديموقراطيين والجمهوريين ، تدرك بصورة متزايدة أن الشيوعيين يجب أن يشاركوا في حكومة للأغلبية ، وقد أكدت هذه القوى موقفها هذا رسميا . ان بدون مشاركة الحزب الشيوعي الإيطالي لا يمكن حل قضايا إيطاليا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المعقدة ، ويعترف المسيحيون الديموقراطيون ، ولو بتردد ومعارضة بالحاجة الى اتفاقية بين جميع القوى الديموقراطية بما في ذلك الحزب الشيوعي الإيطالي .

وهذا كله يدل على انتكاسة قوية بالنسبة للعداء للشيوعية . كما أن الحقيقة الماثلة في أننا حصلنا على ما يقرب من ٣٥٪ من الاصوات في الانتخابات الأخيرة في عام ١٩٧٦ تدل على أنه لم تعد هناك اغلبيّة برلمانية يلعب فيها الحزب المسيحي الديموقراطي الدور الرئيسي ، وأن مرحلة سياسية جديدة قد بدأت في تاريخنا الوطني . وهذا لا يعني بالطبع أن العداء للشيوعية

قد هزم تماما . فالرجعية لا تقبل بوضع يلعب فيه الحزب الشيوعي الايطالى دورا هاما كهذا ، ولذا تشن هجوما علينا وعلى الحكم الديموقراطى بما فى ذلك الهجوم باشكال اجرامية وازهابية . ويتصدى الحزب الشيوعى الايطالى لهذا التخريب بالمبادرات الجماهيرية لتوسيع وتعزيز العمل من أجل الوحدة ، الذى تقوم به جميع القوى الديموقراطية ، من الحزب الاشتراكى الى الحزب المسيحى الديموقراطى . ومن بين الامور التى جعلت من الممكن تطوير العلاقات فى اتجاه الوحدة تعهد هذه القوى بشكل مستقل بالدفاع عن مؤسسات نظام الحكم الديموقراطى . ومما سبق ذكره يظهر أن النضال ضد العداء للشيوعية لا ينفصل عن النضال من أجل الديموقراطية ، ولذا يمكن أن يكون له قاعدة جماهيرية واسعة وأهمية سياسية استثنائية .

## سيدوسيسوكو

المسكرتير العام للجنة المركزية  
لحزب الاستقلال الافريقى السنغالى

لقد تراجع الآن العداء للشيوعية فى السنغال أو أصبح اقل صراحة بين رجال الدين الذين كان هذا العداء بينهم أمرا تقليديا . ولكن الحكومة قامت بتصعيد دعايتها المعادية للشيوعية . وهذا يمثل انعكاسا لنشاط الامبريالية الايديولوجى المتنامى فى افريقيا . ان السنغال ، بحكم موقعها الجغرافى والسياسى وتميز نظام حكمها للغرب ، أصبحت واحدا من المراكز الرئيسية لنشر الافكار المعادية للشيوعية فى القارة . والعداء الرسمى للشيوعية يعزى بدرجة رئيسية الى الخوف من تأثير الاشتراكية العلمى المتنامى ( الذى يجد تعبيراً عنه فى افريقيا فى تعزيز التحالف بين النظام الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى ) وإلى الحقيقة الماثلة فى أن الحزب الحاكم فى السنغال انضم الى الاممية الاشتراكية ( الامر الذى يحفز الاتجاهات الاشتراكية الاصلاحية فى بلدنا ويدخل فيها استراتيجيات الاشتراكيين الديموقراطيين الاوربيين ) .

ويظهر العداء للشيوعية فى السنغال بالدرجة الاولى فى الحملة المعادية للسوفييت ولكوبا والضجة حول « التدخل الاجنبى » وفى محاولة السلطات الرامية الى تصوير حزبنا المتلزم بواجباته الاممية على أنه « عنصر دخيل على وطننا » ووصف المعارضة السياسية بأسرها وكل عمل اجتماعى حاد بأنها شئ مستلهم أو موجه من الخارج . ومن الاشكال الخاصة للدعاية المعادية للشيوعية الانتقاد المتزايد للبلدان الافريقية ذات التوجه الاشتراكى . وبعضها مثل غينيا بيساو وانجولا ، يجرى التنديد بها بوصفها بلدانا تحكمها أنظمة حكم شيوعية . وأحيانا تنتقد السلطات نوعية الاجهزة التى توفرها البلدان الاشتراكية وتلقى عليها اللوم عندما تفشل مؤسسة وطنية كما حدث فى حالة شركة صيد الاسماك السنغالية المعروفة . وتفعل ذلك للحط من قيمة

المساعدات الاشتراكية وتبرير نداءاتها الكثيرة الى رأس المال الاميرالى طلبا للمساعدة . وينسجم مع الدعاية الرسمية بصورة تامة عداء اليساريين المتطرفين للسوفييت ومحاولات المرتد محمود ديوب الرامية الى عرقلة الصلات بين حزبنا والكادحين المتدينين بالتركيز على قضية الالحد .

وتدافع الدعاية الرسمية عن مختلف المفاهيم البرجوازية الغربية الموجهة ضد الماركسية اللينينية وتحالف الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطنى . وتكر نظرية وصراع الطبقات ، وتؤمن بنظرية تقسيم العالم الى « أمم غنية واخرى فقيرة » ، تلك النظرية التى تضع الاتحاد السوفييتى فى معارضة « أمم » العالم الثالث « المحرومة ، وكذلك نظرية « الدولتين الاعظم » التى تتجاهل التقسيم الطبقي الجوهري فى السياسة الدولية المعاصرة ، ومفاهيم « الشيوعية القومية » و « الاشتراكية الديمقراطية » وتدافع عن مختلف الاتجاهات اليمينية فى الفكر الاجتماعى الافريقى فى السنغال تمثيلا نموذجيا . ان الدوائر الحكومية اذ تسير فى ذيل البلدان الرأسمالية الغربية التى تظهر بمظهر المدافع عن « تسوية افريقية للقضايا الافريقية » ، قد تبنت شعار « افريقيا للافريقيين » . وهى توجه هذا الشعار ضد الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وتساوى عمدا بين المساعدات لحركة التحرر الوطنى والتدخل فى شئون بلداننا الذى تمارسه الدول الامبريالية فى الواقع . وتحاول الحكومة عن طريق العداء الشرير للشيوعية والسوفييت ان يمنع الشعب من ادراك الحاجة الملحة الى تحولاتديموقراطية فى السنغال وأن يحرف قوى المعارضة الوطنية عن المهمة الرئيسية المتمثلة فى تحقيق وحدة العمل فى السنغال من أجل هذه التحولات .

ويريد العداء للشيوعية ان يشوه الاهداف التحررية للاشتراكية ومكاسبها السياسية والاجتماعية . وهو يؤثر على مصالح جميع اطراف الحركة الشيوعية العالمية . وسوف يتراجع العداء للشيوعية يأخذ فى الاعتبار اختلاف الاوضاع التى تعمل فيها الاحزاب الشيوعية ، ويصبح اكثر فعالية بفضل ذلك . ولكن اذا أريد له ان يكون مثابرا يجب أن يقاوم العداء للسوفييت الذى تلجأ اليه الامبريالية فى النضال ضد الحركة الشيوعية وجميع القوى التقدمية المعادية للامبريالية .

ونحن نحبذ تعزيز الصلات والتعاون بين المنظمات الجماهيرية الديموقراطية فى السنغال والمنظمات المماثلة لها فى البلدان الاخرى . والنضال من أجل وحدة الطبقة العاملة وتحالف جميع القوى الوطنية يساعد على ازالة تأثير العداء للشيوعية وللسوفييت على الكادحين . وعلى العكس من توقعات الدعاية الرسمية فان الكادحين يربطون بصورة متزايدة بين الدفاع عن مطالبهم الاقتصادية والنضال السياسى الذى تشنه القوى التقدمية فى البلاد لانهاء الازمة وتحقيق تحولات ديموقراطية .



# بيدرو أدريتي جادياس

عضو المكتب السياسي للجنة المركزية  
للحزب الشيوعي الفنزويلي

يوجد قادة نقابيون بين الذين يبدلون قصارى جهدهم لتصعيد الحملة المعادية للسوفييت والشيوعية في فنزويلا . وقد تشكلت هذه المجموعة البروقراطية حول الاتحاد النقابي الرئيسى ، وهى تشمل قادة نقابيين يمينيين ذوى ميول اشتراكية ديموقراطية ، وبعض هؤلاء القادة أعضاء فى حزب العمل الديموقراطى . ومعظمهم تلقى ثقافته فى الولايات المتحدة . اما فيما يتعلق بالقادة النقابيين المنتمين للحزب الاشتراكى المسيحى فان معظمهم تلقى تعليمه فى المانيا الغربية التى بنت الآن مدارس نقابية فى فنزويلا كذلك « يقوم بمهمة التدريس » خبراء « من المانيا الغربية » . وتحاول البروقراطية فى النقابات توجيهها فى نهج معاد للشيوعية .

ويحظى العلماء للشيوعية بتأييد بين بعض اليساريين التقدميين كذلك « اعنى اذا صحت هذه الصفة فى هذه الحالة » ، لاننا لانعتبر حملة الاراء المعادية للشيوعية يساريين » . فالعديد من قادة المنظمة التى تسمى الحركة نحو الاشتراكية على سبيل المثال يتصرفون عمليا مثل المعادين للشيوعية . وتحت ستار الحديث القومى يدافعون عن نوع « قومى » من الاشتراكية « دون تقليد البلدان الأخرى » . ويدافع بعضهم بصراحة عن آراء معادية للسوفييت أو حتى معادية للاشتراكية . فيهاجمون الاشتراكية القائمة ويتحدثون عن اشتراكية مبهمه لم تتحقق حتى الآن فى أى مكان ولا يوجد ما يدل على امكان تحقيقها أبدا . وثمة مجموعات يسارية متطرفة صغيرة منتمة الى هذا المعسكر . وهى لا تؤثر بصورة خاصة ولكنها توجه ضربتها الى الطليعة وتضلل التقدميين ، ولاسيما الشباب الذى يندفع نحو اليسار بقلبه أكثر مما بعقله ويحتضن قضيتنا بحماسة عظيمة . وتحاول المجموعات اليسارية المتطرفة اقناع الشباب بأن حزبنا اصبح « عنيفا » و « جاهلا » و « بروقراطيا » ، وأن مختلف المفارمين « اليساريين » هم الثوريون الحقيقيون . ونحن نرى أن من المهم للغاية فضح نشاطها الانقسامى وقد نشرنا كتباً وكتيبات ووثائق موجهة ضد المظاهر التحريفية اليمينية ، و « اليسارية » . ونحن عن طريق منظمة الشبيبة الشيوعية نناضل بشكل متواصل ضد عداة اليساريين المتطرفين فى الجامعة للشيوعية . ويقوم الحزب بعمل توضيحي نشيط بين العمال بهدف توحيد العمال وشرح اهدافه البرنامجية وتوجيهاته لهم . واعتقد ان هذا هو اهم جانب فى عمل حزبنا لمكافحة الايديولوجية المعادية للشيوعية .

ونحن بالطبع لانعتبر هذه المنظمات بكاملها معادية للشيوعية . كما لانعتبر كل من لايقبل سياستنا أو يختلف معنا عدونا . غير أنه من الواضح أننا يجب ألا نقاوم عداء الرجعيين واليمينيين المتطرفين للشيوعية من مواقع الثورة المضادة فحسب ، بل وأن نبذل جهدا خاصا لصد جميع الهجمات على حزبنا التى يشنها الثوريون المزيّفون أو البيروقراطيون النقيابيون المذكورون أعلاه .

ونحن نعتقد أننا نتمتع الآن بالشروط اللازمة لعزلة العداء للشيوعية . وهى تتمثل أولا فى الوضع الموضوعى فى العالم ومكاسب الاشتراكية القائمة والطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وانهايار النظام الاستعماري والوضع فى كل بلد اليوم يرتبط ارتباطا وثيقا بميزان القوى العالمية . وبما أن هذا الميزان يتحول لمصلحة قوى التقدم والديموقراطية والتحرير الوطنى ضد الامبريالية ، فانه يتيح للطبقة العاملة والشيوعيين والمناضلين الآخرين من اجل الديموقراطية والتقدم فى العالم كله امكانيات أفضل لعزل العداء للشيوعية . ومن المهم للغاية كذلك أن العداء للشيوعية وللسوفييت يفصح عدم امكان الدفاع عنه وعدم انسجابه مع مصالح الناس . ومن المؤكد أن الناس يتعلمون من دروس الماضى . فيمكن تضليلهم مرة أو مرتين ولكنهم لايد أن يتخذوا موقفا صحيحا بعد ذلك اذا كانت لديهم طليعة مرشدة . ومن المؤكد ايضا أن من الصعب تحقيق هذه المهمة فى البلدان التى تسيطر عليها الايدولوجية البرجوازية . وربما تكون هناك مكاسب وانتكاسات ، ولكننا والثقون من انتصارنا النهائى .



## أوتوشودل

حزب العمل السويىرى

تستخدم البرجوازية السويىرية بصورة نشيطة العداء للشيوعية والسوفييت لتضليل الطبقة العاملة . والاداة الرئيسية للدعاية المضادة للشيوعية هى الصحافة . فالبرجوازية تلقى ظلا قائما على الحياة فى الاتحاد السوفييتى لصرف انتباه الكادحين عن الحقيقة الماثلة فى أن الرأسمالية السويىرية ، بوجه عام ، عاجزة عن التصدى للقضايا الناجمة عن الازمة . وتزعم أن حقوق الانسان مضطهدة هناك وتقلل من مساهمة الاتحاد السوفييتى فى الانفراج قائلة أن جهد الاتحاد السوفييتى فى سبيل السلم هو مجرد واجهة وأن الاتحاد السوفييتى لا يريد نزع سلاح حقيقى . وليس هناك من ينكر أن الدعاية المعادية للسوفييت تحظى ببعض الاستجابة حتى بين اوساط العمال وتؤثر تأثيرا سلبيا عليهم . وما تزعمه عن احتجاز « المعارضين » فى مستشفيات الامراض العقلية يلعب دورا بارزا فى هذا

المضمار . والدعاية فى هذا الاتجاه تضر بجهد حزبنا اللعائى .

والعامل السويسرى بطء للغة فى احساسه بالوضع الجديد الذى خلقته ازمة الرأسمالية العالمية . فهو فى الغالب لا يحسن به الا عندما يؤثر عليه شخصا . وتستفيد البرجوازية من خوف الانسان من ان يفقد عمله . وتحاول تحريض المواطنين ضد المهاجرين بغية شق صفوف الكادحين ويتعرض اليساريون للرقابة البوليسية . وهم مسجلون فى البطاقات التى يستخدمونها ارباب العمل لرفض استخدام شخص معين أو لطرد الاشخاص من العمل . ونظام الاستخدام والطرء من العمل الذى مايزال غير رسمى والذى يتشكل فى المكاتب الحكومية لمحافظة زيوريخ ، مركز الحركة الفاشية السويسرية فى الثلاثينات ، مماثل الى حد كبير لقانونو الحرمان من ممارسة المهنة فى المانيا الغربية . ويجرى شئ مماثل فى المحافظات الاخرى .

ولا بد من القاء جزء كبير من اللوم فى تضليل العمال على الحزب الاشتراكى الديمقراطى الذى يسيطر عليه اليمين . فالاشتراكيون الديمقراطيون فى المجلس الفيدرالى وفى الحكومة يتعاونون مع الاحزاب البرجوازية التى تحاول معالجة الازمة بوضع عبء نتائجها على عاتق الجماهير . ويحاول الحزب الاشتراكى الديمقراطى تبرير تأييده لهذه السياسة بالإشارة الى الحاجة الى توفير الاعتمادات المالية للحكومة من اجل « السياسة الاجتماعية » التى تنتهجها ولكنه لا يقول شيئا عن الحاجة الى أن يدفع الاغنياء . وتحت تأثير العداء للشيوعية والسوفييت تمسك قيادة الحزب الاشتراكى الديمقراطى برفضها للتعاون مع حزب العمل السويسرى على الصعيد الوطنى حتى فى الدفاع عن مطالب الكادحين الاجتماعية .

ويرى حزبنا أن هزيمة العداء للشيوعية بوصفه أيديولوجية لاختضاع الكادحين للنظام الرأسمالى تستلزم شن نضال متواصل فى الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وبقية الكادحين وتشكل جبهة ديمقراطية واسعة ضد رأس المال الإحتكارى وثمة اتفاق فى المحافظات الناطقة بالفرنسية بين حزب العمل السويسرى والمنظمات الاشتراكية الديمقراطية حول عدد من القضايا . ونحن نعمل لتوسيع التعاون حول هذه القضايا ليشمل بقية أنحاء البلاد . وفى مقاومة المعادية للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى نستخدم صحافتنا ونقوم بتنظيم محاضرات . كما أن جمعيتى الصداقة السويسرية السوفييتية والسويسرية الالمانية الديمقراطية تقومان بدورهما بتنظيم محاضرات واعمال ثقافية . ومن المؤسف أن امكاناتنا للتصدي للدعاية المعادية محدودة . فلدينا صحيفة يومية واحدة - لانوا أوفريير - فى الجزء الناطق باللغة الفرنسية من البلاد ،

وصحيفتان أسبوعيتان فورفارتس « باللغة الالمانية » ولا فوراتورى « باللغة  
الاطالية » .



## إميل توما

عضو المكتب السياسى للجنة المركزية  
للحزب الشيوعى الاسرائيلى

ان العداء للشيوعية المرتبط ارتباطا عضويا بالعداء للسوفييت ، عصر  
رئيسى من عناصر ايدولوجية وسياسة الدوائر الاسرائيلية الحاكمة . ومن  
المؤكد ان الصهيونية - وهى ايدولوجية هذه الدوائر - تتناقض مع النظرة  
الشيوعية الى العالم . كما ان الشيوعية والصهيونية تختلفان تمام  
الاختلاف من الناحية السياسية .

وينبع التميز المعادى للشيوعية لدى الحكام الاسرائيليين كذلك من توجه  
سياستهم الخارجية . فمئذ تأسيس دولة اسرائيل ظل قادتها المسوألون  
للصهيونية ينتهجون سياسة انكار حقوق الشعب العربى الفلسطينى  
والاعتداء على حقوق البلدان العربية المجاورة . وبلغت هذه السياسة  
ذروتها فى الحربين العدوانيتين فى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، اللتين كشفتا عن  
تحالف الحكام الاسرائيليين مع الامبريالية ضد حركة التحرر الوطنى العربية  
وعداء الحكام الاسرائيليين للشيوعية والسوفييت وسياستهم المضامرة  
تصطدم بمعارضة حازمة من حزبنا ، الذى يصر على تسوية عادلة وشاملة  
للقضية الفلسطينية والنزاع العربى الاسرائيلى عن طريق سحب القوات  
الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة ، كما تصطدم بتأييد الاتحاد  
السوفييتى الحازم للشعب العربى الفلسطينى والشعوب العربية الاخرى .

ويمكننا ان نبرز مظهرين اساسيين من مظاهر العداء للشيوعية فى  
اسرائيل : أولا ، الهجمات الهسترية على سياسة الحزب الشيوعى  
الاسرائيلى التى ترافقها « مناقشات » صحفية ضد ايدولوجية الشيوعية  
وثانيا ، الجهود المركزة المخططة لعزلة حزبنا فى السياسة الداخلية ومنع  
الشعب من التعرف على الحقيقة الماثلة فى أن الحزب الشيوعى الاسرائيلى  
يقترح البديل الوحيد الواقعى والمعقول لسياسة الحرب الخطيرة ، وذلك  
لأنه يقدم للمناقشة سياسة تلبى المصالح الحقيقية للكادحين .  
ويتوقف النجاح فى النضال ضد العداء للشيوعية فى المدى البعيد على  
نمو تأثير الاحزاب الشيوعية والعمالية اذا توفرت ظروف دولية ملائمة  
لذلك . وبالطبع ظل كل حزب يكافح العداء للشيوعية فى ظروف متباينة



يحددها التاريخ الوطنى والتقاليد الوطنية . وفى الوقت نفسه تظهر تجربتنا ومعرفتنا للتاريخ المعاصر أن النجاح فى النضال ضد العداوة للشيوعية يعتمد على عاملين : أولا التطبيق الخلاق والمرن للشيوعية العلمية مع الاحتفاظ ببناء التحالف الماركسية اللينينية . وثانيا ، المقاومة الحازمة التى لا تعرف المساومة للعداء للسوفييت . تلكم هى تجربة الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى يعمل فى جو مشحون بعداء مسعور للشيوعية .

ويشرح حزبنا للجماهير أن العداوة للشيوعية والعداء للسوفييت هما ستار توأصل الدوائر الحاكمة فى اسرائيل من ورائه استغلال الكادحين . والتمسك بسياسة العدوان والتوسع الموجهة ضد الشعوب العربية ، تلك السياسة التى تشكل خطرا على هذه الشعوب وعلى اسرائيل نفسها . ونشاط رفاقنا بين الجماهير وفى النقابات يساعد على فضح العداوة للشيوعية بالنسبة للكادحين . ويلعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى دورا قياديا فى الحركة من أجل الصداقة بين شعبى اسرائيل والاتحاد السوفييتى . ونحن نعتقد أن إقامة حاجز جبار أمام الافتراءات المعادية للسوفييت ، وتطوير الصداقة بين شعبينا ، يمثلان شرطا ضروريا للنجاح فى النضال من أجل انزال الهزيمة بالعداء للشيوعية . ويعتبر حزبنا التضامن مع الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى تعبيرا عن الاممية البروليتارية . كما نرى أن أى موقف « متحفظ » أو ناقد إزاء الاتحاد السوفييتى لن يساهم فى القضية الشيوعية أو يساعد على إضعاف العداء للشيوعية . فمثل هذا الموقف من شأنه أن يؤدي الى تحطيم حزب العمال وإضعاف الاممية البروليتارية وتوليد انحرافات خاطئة .

## إدريس كوكس

الحزب الشيوعى البريطانى

يمثل التعبير الرئيسى عن العداء للشيوعية فى بريطانيا فى الحملة المتواصلة ضد الاتحاد السوفييتى ، التى تزعم أنه يستند الى قوة مسلحة فائقة لفرض ارادته على بلدان أخرى ، وأنه يقوم بتوسيع طاقته النووية لهذه الغاية بالذات . وثمة زعم بأن الشيوعيين فى جميع البلدان الاشتراكية « وكذلك فى العالم الرأسمالى » يعارضون الحكم الديموقراطى ويسعون الى فرض نظام تحكم فيه الاقلية الاغلبية وتضطهد الدين وتمنع « حرية التعبير » عن الافكار السياسية .

وقد طورت الطبقة الحاكمة البريطانية خلال أكثر من قرنين من الزمان تجربة واسعة فى أساليبها الماكرة لتضليل الناس العاديين . وفى بعض المناسبات تلعب ممثلين عماليين تقدميين « وحتى شيوعيين » ولو نادرا جدا» للحديث من دار الاذاعة والتلفزيون ، وذلك لخلق انطباع بأن وسائل الاعلام

غير متميزة . ولكنها بعد برنامج قصير تعود الى العناية الرجعية المعهودة .  
التي لا يمنح الشيوعيون فرصة للرد عليها أبدا .  
ولا يمكن عزلة انعداء للشيوعية كليا طالما بقيت الامبريالية والرأسمالية  
وكل مايمكن عمله هو الحد من مداه واضعاف تأثيره بين الجماهير . فالعمال  
لا يعارضون الشيوعية « بطبيعتهم » ولكنهم يحملون على تصديق تشويه  
الافكار الشيوعية .

ولا تكفى معارضة العداء للشيوعية بالاقوال والصور وحدها أو حتى  
على شاشة السينما . فالعمل الجماهيرى فى البلدان الرأسمالية لتأيسد  
المطالب والحاجات اليومية لجماهير الشعب هو نقطة الانطلاق بالنسبة  
للنضال ضد العداء للشيوعية . وعندما يعبرمختلف الشيوعيين أو مجموعات  
منظمة منهم عن حاجات زملائهم العمال ويبدؤون فى قيادة النضال لتلبية  
هذه الحاجات ، يبدأ الناس العاديون يغيرون آراءهم حول الشيوعية .

والرد الحاسم على العداء للشيوعية هو تنظيم الرجال والنساء فى مركز  
الانتاج فى النضال لرفع أجورهم وتحسين ظروف العمل ، وفى الشارع  
والحي من أجل المزيد من المساكن الأفضل بايجار اقل ، وضد التضخم  
وارتفاع الاسعار . ذلكم هو الجو الذى يجرى فيه الاعتراف بالشيوعيين  
بوصفهم قادة سياسيين موثوق بهم . وفى هذا الوضع بالتحديد تنمو  
الافكار الماركسية ويصبح من الاسهل اظهار انجازات الاتحاد السوفيتى  
والبلدان الاشتراكية الأخرى .

أن استيعاب المبادئ الاساسية للماركسية ومغزى الشيوعية النظرى  
والعمل ليس عملية تلقائية . فهو امر يحتاج الى دراسة متواصلة والى  
الجمع بين النظرية والممارسة وكذلك التجربة الغنية فى النضال ضد  
الرأسمالية ومن أجل انجاز الاشتراكية .

وتتفاوت اشكال النضال ضد العداء للشيوعية حسب الظروف فى كل  
مصنع أو منجم ، وفى الصناعة بأكملها ، وفى كل قرية أو مدينة أو منطقة  
أو فى البلاد بأسرها . ويسعى الشيوعيون الى أن يثبتوا بالعمل أنهم جزء  
من الشعب وشاركونه النضال . وقد انتخب العديد من الشيوعيين الى  
مراكز قيادة فى النقابات البريطانية ، وهم فى وضع اقوى لشن النضال  
السياسى ضد العداء للشيوعية ، ولابد لكل شيوعى فى بريطانيا أن يكون  
أكثر حماسة فى كسب المزيد من القراء لصحيفة « مورننج ستار » ،  
الصحيفة اليومية العمالية الوحيدة فى بريطانيا . ويحتاجون الى المزيد  
من التركيز على رفع مستوى وعى الطبقة العاملة السياسى بتوسيع بيع  
الادبيات الشيوعية « الكتب والمجلات والكتيبات » وب عقد اجتماعات عامة  
ومظاهرات ومحاضرات جماهيرية حول النظرية الشيوعية والممارسة  
الشيوعية .



# • كاريكاتير •



رجال الإنقاذ في فومبيشيف



رقصة غير شعبية د. أ. هاشم



م. أبراموف

حنيفة زائف

# الماركسية النظرية والتطبيق

« المذهب الماركسي مذهب كلي لأنه صحيح » . انه مذهب شامل  
يمتدح ، ويقدم للبشر نظرة عالمية متكاملة لا تعرف التهاون مع أى  
شكل من أشكال الضلالة أو الرجعية أو الدفاع عن الاضطهاد  
البرجوازي » \*

ف ١٠٠ لينين

في الخامس من مايو هذا العام انقضى مائة وستون عاما منذ  
ميلاد كارل ماركس . واحتفالا بهذه المناسبة نظمت مجلة قضايا  
السلم والاشتراكية مجموعة ابحاث دولية تضم : جرجين  
جيرجينوف ، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ،  
ولويس باديللا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البوليفي ،  
وجورج كوتوسكي ممثل الحزب الشيوعي الاكمانى ، وتيودور  
ويذرمان العضو المراسل فى أكاديمية العلوم السوفيتية ،  
وفازيزوسيمى عضو الحزب الشيوعي فى جنوب افريقيا .

وركزت مجموعة الأبحاث على القضايا الرئيسية التالية :

– الدور المتنامي لمذهب ماركس في المرحلة الحالية •

– الماركسية كنظام علمي متطور •

– المذهب الماركسي كمرشد للعمل في حركة تحرر الطبقة العاملة ، وبناء مجتمع اشتراكي ونضال الشعوب المعادي للامبريالية •

واليك عرضا موجزا لمناقشات المجموعة أعده أفرادها •

في عصرنا ، يتبنى ملايين الناس مذهب ماركس باعتباره نظرتهم الى العالم • وعندما يستحوذ هذا المذهب على الجماهير يتحول الى قوة مادية • أى يظهر في شكل عمل متماسك ومنظم وموحد وثوري للجماهير ، لقد أحدث مذهب ماركس ثورة في العالم ، ويجد ذلك تعبيرا عنه في منجزات البناء الاشتراكي ومكاسب الطبقة العاملة وحركات التحرر الوطني •

في بداية هذا القرن كان أيديولوجيو البرجوازية يزعمون أن الملكية الخاصة « التي كانوا يطبقون عادة بينها وبين الملكية الشخصية » شرط طبيعي لوجود المجتمع المتمدين ، وأن التعارض بين الطبقات قد أرسل من السماء لامتحان الفضائل البشرية ، في حين أن وجود جماهير الشعب المعذمة هو – للأسف – شر لا بد منه ، إذ لا يمكن أن يوجد الفردوس على الأرض ، أما اليوم فلم يعد منظرو البرجوازية يزعمون – أو يطنبون في زعمهم – أن الرأسمالية خالدة ، بل على العكس انهم يميلون بصورة متزايدة الى اثاره هذا السؤال : « هل يمكن أن تبقى الرأسمالية ؟ » انهم يقولون أن المجتمع البرجوازي قد دخل بالفعل مرحلة تطور غير رأسمالي سيؤدي « وبالطبع دون أى ثورة أو خسارة للبرجوازية » الى الوفرة الشاملة وحتى الى اختفاء التمايز الطبقي •

وعلى عكس الايديولوجية البرجوازية التقليدية يزعم أحدث أنواع هذه الايديولوجية بصورة متزايدة أنه قد خلق بديلا نظريا للتنظيم الرأسمالي للمجتمع ، خلق طريقا « ثالثا » أو « وسطا » ، يدعون أنه خال من « تطرف » الرأسمالية الفردية والاشتراكية الجماعية • كما يخدم هذه الاستراتيجية الايديولوجية بعيدة المدى أيضا مفهوم « الاقتصاد المختلط » ( الذي يزعمون أنه جزئيا رأسمالي وجزئيا اشتراكي ) ونظريات « المجتمع مابعد الصناعي » و « دولة الرفاهية » و « المجتمع الاستهلاكي » وما الى ذلك •

واليوم كثيرا ما يستخدم أعداء الشيوعية عبارات اشتراكية زائفة ومعادية للرأسمالية ، وكثيرا ما يزعمون أن الرأسمالية ليست رأسمالية بأي حال ، وأن

الاشتراكية أبعد ما تكون عن الاشتراكية ، بل أكثر من ذلك اذ يؤكدون أن المجتمع البرجوازي هو الذي يحقق المثل العليا الاشتراكية . فما هو تفسير هذا التحول الذي يبدو غريبا لدى الوهلة الأولى في الايديولوجية البرجوازية ، ليس هناك سوى اجابة واحدة : انه قوة الجذب العظيمة للنظرية الماركسية والقوة المثيرة للعجاب للحركة الحديثة المعادية للامبريالية وللرأسمالية ، والتي تتنوع اشكالها ، وحيوية النظام الاشتراكي وتفوقه على الرأسمالية ، مما يزعج من حين الى آخر حتى أكثر أنصارها حماسا .

ومن هنا فليس مما يثير الدهشة ألا يعود دعاة الرأسمالية يعلنون صراحة أنهم يقفون مع النظام الرأسمالي ويدافعون عنه ، وهذا هو السبب في أنهم لا يأخذون في اعتبارهم الماركسية فحسب ، بل كثيرا ما يعترفون « وان يكن ذلك مصحوبا بمختلف انتحفظات ، بأنها تمارس الآن تأثيرا قويا على البشرية » .

وغنى عن البيان أنهم حين يتناولون الماركسية يحرصون على قتل محتواها السياسي الاجتماعي الشيوعي . وقد فضح لينين عشية ثورة أكتوبر مثل هذه التفسيرات للماركسية حين قال « ان ما يحدث الآن لتعاليم ماركس قد حدث مرارا في مجرى التاريخ لنظريات المفكرين النوريين وقادة الطبقات المقهورة المناضلة من أجل التحرر ، فخلال حياة الثوريين العظام طاردتهم الطبقات القاهرة على الدوام ، واستقبلت نظرياتهم بأشد ضراوة وأعنف حقن ، وبحملات من الأكاذيب والافتراء لانتورع عن شيء . وبعد وفاتهم تبذل المحاولات لتحويلهم الى أيقونات لا ضرر منها ، ولتقديسهم اذا أمكن القول ، وتمجيد أسماؤهم الى حد ما بهدف « ترضية » الطبقات المقهورة وخداعها مع تجريد النظرية الثورية في الوقت نفسه من جوهرها ٠٠٠ واليوم تتألف البرجوازية والانتهازيون داخل الحركة العمالية في هذه المعالجة « للماركسية » ( المؤلفات الكاملة - المجلد ٢٥ - ص ٢٨٥ ) . وقد ظهر هذا الاتجاه قبل ثورة أكتوبر ، وهو أكثر بروزا في الايديولوجية البرجوازية المعاصرة بدوجة لا تقاس .

وقد حلل المشتركون في المناقشة أفكار مدرسة فرانكفورت للدراسات الاجتماعية التي كان لها تأثير بارز على الاشتراكيين الديمقراطيين المعاصرين . ويزعم أفراد المدرسة أنهم يدعون الى « ماركسية أصيلة » يسمونها عادة « النظرية الانتقادية » وكذلك « الماركسية الجديدة » أو « الماركسية الغربية » في مواجهة الماركسية في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى . والواقع أن « النظرية الانتقادية » انعكاس للماركسية في وعي البرجوازية الصغيرة . ومن بين سماتها المميزة انكار رسالة البروليتاريا الاشتراكية ، وتجاهل خبرة حركة تحررها ، وفي الواقع اتخاذ موقف سلبي من النظام الاشتراكي القائم . ان معاداة البرجوازية الصغيرة الاصلاحية للرأسمالية كما هي لدى « المنظرين الانتقادين » في فرانكفورت لاتعدو أن تكون نقدا ذا نزعة انسانية مجردة «للمجتمع الصناعي» وهو مفهوم يمثل بذاته قالبا جاهزا من قوالب علم الاجتماع يستخدم لتعمية

التناقض بين الرأسمالية والاشتراكية ، بحيث كثيرا مانتهى معاداة مدرسة فرانكفورت الرومانسية الى معاداة تافهة للشيوعية .

والمقدمة النظرية لانكار التناقض الاساسى بين النظام الاجتماعى الاشتراكى والنظام الاجتماعى الرأسمالى هو رفض المفهوم الاساسى للمادية التاريخية وهو مقولة علاقات الانتاج . ويزعم يورجن هابيرماس الفيلسوف الالمانى الغربى ان علاقات الانتاج لم توجد الا فى اطار « الرأسمالية الليبرالية » وأنها غريبة تماما على « رأسمالية ايامنا هذه » التى يزعم أن القوة المنتجة تتطور فى ظلها دون هذا الشكل الاجتماعى الخاص الذى يعلن ببساطة أنه قد جرى تجاوزه ولم يعد موجودا . يمثل هذا النوع من المعالجة المنهجية يصبح الغاء أسلوب الانتاج الرأسمالى فى الواقع أمرا سطحيا ، هذا هو السبب فى أن كل برنامج مدرسة فرانكفورت الاجتماعى يعدو أن يكون دعوة الى ليبرالية المؤسسات الاجتماعية ، وتوسيع نطاق « العلاقات الانسانية » وتطوير « التفاعل » والاتصال بين الاشخاص الخ . . . . . وهى تقدم هذا كله باعتباره تفسيراً « أصيلاً » للماركسية .

والماركسية نظرية متلاحمة متكاملة لا ترتبط مكوناتها – الفلسفة والاقتصاد السياسى والاشتراكية العلمية – فيما بينها ارتباطا وثيقا فحسب ، بل انها بمعنى ما تتحول الى بعضها البعض . وتربط الماركسية تحليلها للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الرئيسية لحياة المجتمع بتحليل المجتمع فى مجموعه ، أى كوحدة لعلاقاته الاجتماعية المتنوعة . ومنذ أكثر من قرن بدأ ماركس وانجلز أولا التحليل المتشعب لحياة المجتمع ، وثانيا التحليل النهجى للعملية الاجتماعية ، وثالثا تحليل تطور المجتمع . أنهما لم يسموا فحسب فوق غيرهم من المؤرخين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع فى عصرهم بل لقد استبقا مناهج البحث التى تتبنى اليوم كذلك فى علوم الطبيعة .

والحق انه فى أيام ماركس وانجلز كانت النظريات الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية بل كذلك أكثر علوم الطبيعة تطورا ، تعتبر « بالطبع بقدر ما كانت تعتبر أصيلة » نظما للمعرفة كاملة فى الأساس ، ومستقلة عن تطور المعرفة اللاحق . وهكذا كانت الميكانيكا الكلاسيكية والهندسة والمنطق تعتبر علوما قاربت على استنفاد موضوعها ، وهى نظرة دحضها ظهور الهندسة غير الاقليدية والمنطق الرياضى والميكانيكا النسبية وفيزياء الكم . فالحقيقة عملية ، واذ يبلغ العلم حقيقة محددة فانه لا يوقف تحليله ، وانما يواصل التطور ، مكتشفا حقائق جديدة ، ومصححا الآراء الصادرة التى أرساها . وقد صاغ ماركس وانجلز اللذان طبقا منهجهما المادية الديالكتيكية تطبيقا خلافتا هذه المبادئ المنهجية التى يقبلها اليوم كل العلماء التغمين .

ونظرية ماركس نموذج للمعالجة العلمية . وبعد أن قررت مجموعة الأبحاث ذلك مضت لتدرس الزعم البرجوازى والتحريفى النموذجى القائل بأن التعددية فى الماركسية ليست أمرا محتوما فحسب ، بل وضروريا . ويتلخص بشكل عام

في أن أي تحريف للمبادئ الماركسية - بما في ذلك التخلي عن بعضها - إذا كان مصحوباً بتصريعات عن التمسك بالماركسية ، يمكن أن يعتبر محاولة مقبولة لانتاج صورة جديدة من الماركسية . وهكذا يحاول دعاة التعددمساندة الفكرة القائلة أن عدداً كبيراً من النظريات الماركسية المختلفة - المتكافئة والمستقلة بعضها عن بعض - يمكن ويجب أن يوجد . ولندكر أن التهازبي الاممية الثانية حاولوا « ربط » الماركسية بالكاتنية الجديدة وقدم التحريفيون النمساويون « ماركسية نمساوية » وحاول بعض الاشتراكيين الديمقراطيين - تحت تأثير فرويدية - « اكمال » ماركس بتحليل فرويد النفسى - ومنذ وقت ليس بالبعيد قدم الفيلسوف المثالي الفرنسي سارتر مذهبه باعتباره « ماركسية وجودية » . وأعلن التومائى الجديد النمساوى مارسيل ريدينج ضرورة الجمع بين نظريتي ماركس وتوما الاكويينى . ويشعر البعض بأن عليهم أن يؤكدوا دعوتهم الى « الماركسية الثورية » أو « الماركسية الديمقراطية » غافلين عن الحقيقة الماثلة في أن الماركسية « غير الثورية » أو « غير الديمقراطية » ليست ماركسية على الإطلاق .

وليس بنا حاجة الى اثبات أن محاولات « تنويم » الماركسية هذه ، وتفسير نظرية ماركس وفقاً لافكار ذاتية هي محاولات انتقائية ، نتجاهل تلاحم النظرية الماركسية وتكاملها . كما أنها في الواقع انكار لكل من الطبيعة العلمية للماركسية وروابطها الوثيقة بمصالح الطبقة العاملة . كما أن من الواضح أن القول بأن كل تفسيرات الماركسية متكافئة متعادلة لا يعدو أن يكون انكاراً لنظرية ماركس الحقيقية وتبرير لاي تشويه لها . فبعد أن هزمت الماركسية الانواع العديدة من اشتراكية البرجوازية الصغيرة بدأ خصومها يتزبون بزى ماركس . والحق أن مختلف محاولات « ايجاد ماركسيات عديدة » هي بالتحديد مثل هذا النوع من التدريبات .

والاممية هي السمة الاساسية للتعاليم الماركسية . للطبقة العاملة في كل البلدان والقارات نفس الاهداف الحيوية طويلة الاجل ، كما أن قوانين تطور الرأسمالية ، وتقدم حركة تحرر الطبقة العاملة « وكل حلفائها الطبقيين » ، والبناء الاشتراكي والشيوعي ، هي نفسها في كل البلدان . فليس ثمة قوانين خاصة لتطور الرأسمالية البريطانية أو الامريكية مثلاً ، فالقانون ، أي قانون ، سواء في الطبيعة أو في المجتمع هو شكل للشمول . وقد أوضح ماركس في « رأس المال » قوانين التطور الرأسمالى التي تنطبق على كل البلدان لكن من الواضح كذلك أن تطور الرأسمالية في الولايات المتحدة يختلف كثيراً عن العملية نفسها في بريطانيا وفي غيرها من البلدان ، بحيث يفلو تحليل هذه الخاصية التاريخية مهمة علمية هامة . وينطبق الشيء نفسه على قوانين الصراع الطبقي وقوانين البناء الاشتراكي .

ويعارض اتباع ماركس التطبيق العقائدى الجامد للماركسية ، تطبيقها كقالب ، وتجاهل الظروف التاريخية المحددة والسمات الخاصة للبلد المعين أو



لمستوى تطور الطبقة العاملة ومالى ذلك . قال لينين ان من المهم ان نبحث وندرس ونتنبأ ونذكر ماهو خاص قوميا ، ماهو مميز ، فى الطريقة المحددة التى يعالج بها كل بلد نفس المهمة الاممية « الواحدة » ( المجلد ٢١ - ص ٩٢ ) . وتمثل اقامة مجتمع لا طبقى هذه المهمة الاممية الواحدة للطبقة العاملة وحلفائها فى كل البلدان . غير أنه - كما لاحظ أعضاء مجموعة البحث استنادا الى خبرة بلدانهم - يكون من التبسيط المفرط أن نفترض أنه لأن فواعد النضال من أجل الاشتراكية شاملة فإن المهمة الاممية الواحدة يمكن أن تنجز بالطرق والوسائل ذاتها . ان فهم خبرة كل بلد وكل حزب شيوعى وتلخيصها نظريا أمر ذو أهمية أساسية هائلة . وتؤمن المادية الماركسية الديالكتيكية بأن كل وحدة لا تتضمن التطابق فحسب ، بل الاختلاف كذلك ، وهذا الآخر بلا شك هو الجوهرى . فالتطابق دون اختلاف ليس تطابقا حقيقيا . وانما تجريد مبتافيزيقى . يقول لينين « ليس من شك مطلقا فى أن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية متصور فى أشكال مختلفة ، تتوقف على ما اذا كانت علاقات الانتاج الرأسمالى الكبير أم الانتاج الصغير هى السائدة فى البلاد » ( المجلد ٣٢ - ص ٢٣٣ ) .

ان ظروف حركة تحرر الجماهير العاملة ، وظروف بناء الاشتراكية ، بالغة التنوع ، ويشهد التقلم الثابت للصراع ضد الرأسمالية ولبناء المجتمع الاشتراكي - بالرغم من كل تنوع هذه الظروف - بصدق التعاليم الماركسية وقوتها . فالظروف المتميزة نوعيا التى يتحقق فيها المثل العليا الشيوعية فى الممارسة هى أساس انشاء النظرية الماركسية . ويساهم كل حزب شيوعى فى تطوير النظرية الماركسية بتحليل الظروف الخاصة لنشاطه وفهمها . وبمثل تنوع الخبرة التاريخية التى يجرى تلخيصها من المواقف الماركسية الثروة الايدولوجية الهائلة . يقول ليونيد بربجنيف : « انها خبرة فى بناء الاشتراكية فى ظل تنوع الظروف البالغ مما يبين كلا من قوانينها الموضوعية العامة وتنوع الاشكال المحددة . وهى أيضا خبرة الدفاع عن مصالح الجماهير الحيوية . وتعبئة القوى الثورية ، والنضال من أجل الاشتراكية فى بلدان ذات مستويات تطور مختلفة . وهذا كله يتطلب تحليلا وتعميما ، يزيد من ضرورتها ، ان خبرة كل حزب شقيق تحوى بالضرورة - الى جانب سماتها الخاصة المستمدة من الخصائص الوطنية - سمات عامة لها أهميتها بالنسبة لحركتنا بأسرها . كما أن الحياة تصيف باستمرار شيئا جديدا الى تطور العمليات السياسية - الاجتماعية والاقتصادية الموضوعية فى بلدان مفردة وعلى النطاق العالمى ، والى النضال من أجل اهدافنا المشتركة » .

وفى العصر الحالى حيث تندمج التيارات الثورية الرئيسية الثلاث - الجهد البناء للبلدان الاشتراكية وحركة تحرر البروليتاريا فى البلدان الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى للشعوب المعادية للامبريالية - فى موجه واحدة تبرز الاهمية العلمية والعملية السياسية للماركسية ، لكل مناطق كوكبنا بأكبر وضوح . ويبين هذا بطلان تفسير الماركسية تسيرا يتركز على أوروبا ، وهذا التفسير الذى يزعم أن ماركس لم يستند الا على خبرة أوروبا . بل حتى أوروبا الغربية وحدها ، بحيث أن نظريته لا تنطبق على القارات الاخرى . وهذا أيضا

هو الموقف من اللينينية حين تبذل الجهود لتصويرها كنظام افديمي من الافكار التي تعكس الظروف التاريخية الخاصة لتطور روسيا . وهذه الفكرة خاطئة تماما ، أولا لأن ماركس وانجلز أوليا اهتماما كبيرا للهند وغيرها من البلدان المستعمرة . وانطلاقا من الآراء التي صاغها مؤسسا الماركسية انضج لينين يشكل شامل نظرية المسألة القومية ومسألة المستعمرات في اطار مذهب عن الامبريالية باعتبارها أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية ومرحلتها الاخيرة ، واثانيا لأن ماركس يحلل في « رأس المال » تطور الرأسمالية من الاقتصاد السليبي البسيط الذي يوجد في مجتمعات ما قبل الرأسمالية ، ويوضح القواعد التي يعمل ويتطور وفقا لها .

لقد درس مؤسسا الماركسية وهما يصوغان مذهبهما حول التشكيلات الاقتصادية - الاجتماعية الانتقال التاريخي من الاقطاع الى الرأسمالية ، ومن الرأسمالية الى الاشتراكية كمرحلة أولى للتشكيلة الشيوعية وفي أيامنا حين أصبح التقدم نحو الاشتراكية عملية عالمية ، يشمل المذهب الماركسي عن طريق الانتقال الى الاشتراكية تحليلا للمقدمات الاقتصادية - الاجتماعية للتحويل الاشتراكي لعلاقات الانتاج التي تنشأ لا في التشكيلة الرأسمالية فحسب ، بل وكذلك في عملية التطور غير الرأسمالي لمستعمرات الامبريالية السابقة التي تتبع طريق تطور مستقل . وحتى ماركس وانجلز لم يعتبرا المرحلة الرأسمالية للتطور قدرا محتوما في أي ظرف تاريخي ، وقد طور لينين وأتباعه فكرهما حتى غدت نظاما متلاحما منسجما من الافكار

واستمر مذهب ماركس يتطور على أساس الخبرة التاريخية الجديدة والتقدم في كل العلوم . وفشلت دائما محاولات مجابهة الماركسية بأية فلسفة أخرى أو علم اجتماع آخر لأن الفلسفة وعلم الاجتماع العلميين - كما أوضحت الممارسة - لا يمكن أن يتطورا الا على أساس الماركسية ، أي كتحويل ماركسي . وفي ضوء هذا بحث أفراد المجموعة كذلك مسألة المجال الذي يمكن تطبيق الماركسية فيه . ويزعم بعض الايديولوجيين البرجوازيين أن الماركسية غير قابلة للتطبيق على البلدان ذات المستوى الصناعي المرتفع ، في حين يزعم البعض الآخر أنها غير قابلة للتطبيق على البلدان النامية . وليست هناك سوى اجابة صحيحة واحدة على كل هذه المزاعم هي : أن الماركسية قابلة للتطبيق على أي موضوع للتحليل الفلسفي والاقتصادي والسياسي - الاجتماعي . ولا تتناقض هذه النتيجة بأي حال مع الحقيقة الماثلة في أن الماركسية هي الايديولوجية العلمية للطبقة العاملة ، للطبقة العاملة والجماهير غير البروليتارية المقهورة المستغلة نفس المصالح من حيث الأساس . وإذا كان ماركس وانجلز قد أبرزوا الطبقة العاملة فلم يكن ذلك لانهما أرادا أن يفضلا عن الطبقات المستغلة غير البروليتارية ، أو أن يضعها موضع المعارضة منها وانما لكي يوضحا وضعا - المحدد تاريخيا - كطبقة طليعية، طبقة قائدة، تجمع حولها كل المناضلين من أجل تحرير الشعب الاجتماعي .

وحين طرح ماركس وانجلز مهمة ربط الاشتراكية العلمية بحركة الطبقة العاملة ، وحين طور لينين وغيره من الماركسيين اللينينيين بعده هذه المهمة نظريا

وقاموا بأدائها بتكوين الاحزاب الشيوعية ، فان هذا لم يعن بأى حال أن الماركسية لا يمكن أو يجب أن تربط الا بحركة الطبقة العاملة وحدها فقد كانت هذه مهمة تاريخية رئيسية ملموسة عولجت في تلك الفترة ، وما زالت تحتل الاهمية الاولى في عصرنا ، ولكنها لاتستبعد بأى حال هدف ربط الماركسية بحركة التحرر الوطنى ، وبالنضال ضد الاحتكار من أجل الديمقراطية ، وبالنضال الديمقراطى العام من أجل السلام وضد الحرب الخ . وبالطبع فان لعملية ربط الماركسية بالنضال الديمقراطى العام ضد الاحتكارات ومن أجل السلام وحل القضايا الشاملة سماتها الخاصة ، فقوة الحركة الديمقراطية العاملة تكمن في أنها تشمل أناسا من اتجاهات سياسية - اجتماعية وأيديولوجية مختلفة . ومن الخطأ التقليل من أهمية هذه السمة النوعية للحركات الديمقراطية العامة لأن المهمة هى تزويد هذه الحركات بأوسع قاعدة اجتماعية ممكنة . لكن من الواضح بالمنزل أن الشيوعيين هم أكثر المناضلين اتساقا ضد الفاشية والعسكرية والعنصرية . والفصل العنصرى وقمع الديمقراطية .

وغنى عن البيان أن طريق البلدان النامية الى الاشتراكية طريق شاق . فالطبقة العاملة في تلك البلدان صغيرة الحجم ، وما زالت مبعثرة بين مؤسسات صغيرة ، غير أن العمال قوة سياسية نشيطة تلعب دورا هاما في الحركة الاشتراكية . وبالطبع فان تكوين أغلبية السكان في منطقة حركة التحرر الوطنى من الطبقات الكادحة غير البروليتارية يوفر التربة لمفاهيم ومذاهب « اشتراكية » برجوازية صغيرة وطوبارية ، تفصل طابعا مثالها على التخلف الاقتصادى ، بحيث أنها رغم رفضها للرأسمالية تقوم عادة على انكار الفلسفة وعلم الاجتماع البرجوازيين المعاصرين وتربط بينها وبين الماركسية ربطا انتقائيا . لكن تقدم نضال الشعوب التحريرى يبدد هذه الاوهام ، فالاحزاب الديمقراطية الثورية - التى قامت بالكثير في النضال ضد الاستعمار تتحرك نحو الاشتراكية العلمية ، والمزيد من الناس في البلدان النامية يتطلعون الى تعاليم ماركس وانجلز ولينين ، ويريدون اشتراكية حقيقية .

ان الماء - اذا مالجأنا الى الاستعارة - أحل ما يكون عند النبع . يقول اجو ستينونيتو رئيس الحركة الشعبية لتحرير أنجولا - حزب العمل - في تقريره الى مؤتمرات الحزب الوطنى الاول : « لا يمكن أن تكون هناك اشتراكية افريقية واشتراكية اوروبية ، اشتراكية للبلدان المتطورة واخرى للبلدان النامية وانما هناك اشتراكية علمية واحدة أصبحت واقعا في جزء كبير من العالم »

وقد توصل أعضاء مجموعة البحث الى هذه النتيجة : تنمو أهمية الماركسية باطراد مع تقدم الانسانية . وفي الوقت نفسه فان نظرية حركة تحرر الطبقة العاملة هى منهاج حديث علمى حقا للفكر الثورى والممارسة الثورية في النضال من أجل السلام والديمقراطية وحرية الشعوب والتقدم والاشتراكية . وتدحض هذه الحقيقة الدافعة والافاق التاريخية المرتبطة بها حجج الايديولوجية البرجوازية التقليدية القائلة بأن الماركسية قد « مضى عمرها » ، وتسد قام أعضاء مجموعة البحث بدراسة خاصة للحجج المستخدمة تأييدا لهذه الفكرة .

ومهما بدا في ذلك من مفارقة لدى الوهلة الاولى فان فكرة أن الماركسية قد « مضى عصرها » قد طرحت منذ سنوات الماركسية الاولى . ففي أربعينات القرن الماضي طرح بعض خصوم الماركسية البرجوازيين الصغار بعض تعاليم ما قبل الماركسية بعد صقلها باعتبارها آخر كلمة في الفكر الفلسفي والاجتماعي . وهكذا زعم الهيكليون الشبان أن مؤسسا الماركسية يتخذان موقفا « عتيقا » و « غير انتقادي » من البروليتاريا التي لم يكن راديكاليو البرجوازية الصغيرة ينظرون اليها الا ككتلة « محرومة » . وعلى العكس قال ماركس وانجلز ان رسالة البروليتاريا التاريخية يحددها وضعها الموضوعي في ظل الرأسمالية ، وان البروليتاريا تتطور في النضال ضد رأس المال ، وأنها تصبح في النهاية قوة قادرة على إلغاء علاقات الانتاج الرأسمالية وقالا « ليست » المسألة هي ما يراه هذا البروليتاري أو ذاك - أو حتى مجموع البروليتاريا كهدف له في اللحظة الراهنة ، وإنما هي مسألة ماهي البروليتاريا في الواقع وماذا ستجبر تاريخيا على أدائه بحكم هذا الوجود . ان هدفها دفعها التاريخي يلوحان بوضوح قطعية في وضع حياتها ، وفي كل تنظيم المجتمع البرجوازي اليوم .

وتدحض الحياة مزام التحريفيين المعاصرين عن « نزع البروليتاريا » الطبقة العاملة و « اندماجها » في نظام الانتاج الرأسمالي . فالبروليتاريا - القوة المنتجة الرئيسية في المجتمع البرجوازي - محرومة من وسائل الانتاج التي يملكها الرأسماليون - القوة غير المنتجة في هذا المجتمع . ان وجود البروليتاريا ذاته داخل اطار الرأسمالية نفي لهذا النظام التنافسي .

ويشير خصوم الماركسية المعاصرون الذين يسعون الى اثبات أنها قد « مضى عصرها » الى أن مستوى معيشة الطبقة العاملة في بعض البلدان الرأسمالية قد ارتفعت بوضوح بالمقارنة بها في القرن التاسع عشر . وقد درست هذه الحجة أيضا أثناء المناقشة . لقد انتقد ماركس مفهوم لاسال عن « قانون الاجور الحديدي » ووفقا له يهبط سعر قوة العمل الى الحد الأدنى لوسائل تجديد انتاجها . ورأى ماركس الاجور « وبالتالي قيمة قوة العمل » كظاهرة ثقافية تاريخية تتغير مع تطور قوى المجتمع البرجوازي المنتجة ، وبخاصة بسبب الصراع الطبقي المنظم الذي يخوضه العمال . وحقيقة ان البروليتاريا في بعض البلدان الرأسمالية قد حققت تحسنا ملحوظا في ظروف معيشتها تشهد بقوة حركة الطبقة العاملة وليس بأى مشاركة اجتماعية بين الطبقات المتناحرة في المجتمع البرجوازي كما يزعم المنظرون الاشتراكيون الديمقراطيون . ان الطبقة العاملة لا تعارض الرأسمالية فقط حين تهب في هجوم ثوري على دكتاتورية رأس المال بل كذلك حين تقف في صراعها اليومي دفاعا عن حقوقها الانسانية وعن ظروف العمل والمعيشة التي انتزعت بالنضال الطويل .

ولكلمات ماركس التالية الصحة والدلالة ذاتهما اللتان كانتا لها في منتصف القرن التاسع عشر : « فحتى أكثر الاوضاع مواتية للطبقة العاملة ، وأسرع نمو ممكن لرأس المال مهما حسن كثيرا من وجود العامل المادي لايزيل التناحر بين

مصالحه ومصالح البرجوازية ، ومصالح الرأسماليين . وتظل الارباح والاجور كما كانت من قبل في تناسب عكسي . وربما كانت الازمة العامة للنظام الرأسمالي - التي تزداد عمقا وحدة نتيجة التطور السريع للقوى المنتجة في ظل الثورة العلمية والتكنولوجية - هي أقوى تأكيد للنظرية الماركسية عن الطابع الزائل من الناحية التاريخية لأسلوب الانتاج الرأسمالي .

وكثيرا ماتمضى الزاعم بأن الماركسية قد « مضى عصرها » جنبا الى جنب مع كتابات الكلاسيكية اللاحقة يحاولون أن يجدوا في الكتابات الأولى شيئا ليس فيها ، وهو نظرية الاشتراكية الاخلاقية اللاتطبيقية ، وهي نظرية مثالية قديمة وضع « رأس المال » و « البيان الشيوعي » وغيرهما من الكتابات الماركسية موضع التعارض مع كتابات ماركس الأولى فيما بين ١٨٤١ و ١٨٤٤ حين كان قد بدأ لتوه تطوير الاشتراكية العلمية وكان ينتقل من المثالية والديمقراطية الثورية الى المادية الديالكتيكية والشيوعية العلمية . وتحتوي كتاباته هذه بشمائل رائعة لاكتشافاته اللاحقة لكنها تحوى أيضا كثيرا من الافكار التي مازالت تحمل طابع مثالية هيكل وانثروبولوجية فيورباخ اللتين ابتعد عنهما ماركس بعد ذلك . وأى وضع لكتابات ماركس الادبى ( مثل « مخطوطات ١٨٤٤ الاقتصاد - الفلسفية » ) موضع المعارضة من الكتابات الماركسية الكلاسيكية هي محاولة خبيثة للنيل من الماركسية . فبمثل هذه المعالجة لنظرية ماركس يحلون محل نظرية الصراع الطبقي مفهوم الاغتراب بين الافراد ، الذى يزعمون أنه مستقل عن علاقات الانتاج ، ويحلون محل نظرية فائض القيمة مفهوم اغتراب ناتج العمل ، الذى لا يكشف عن خصائص التناحر بين العمل ورأس المال ، وهو تناحر عضوى فى المجتمع الرأسمالي .

ان عبارة ماركس الشباب لاتعنى بأى حال قبولا حقيقيا للماركسية . وأكثر من هذا فان هؤلاء الذين يضعون كتابات ماركس الشباب موضع التعارض مع كتاباته الكلاسيكية اللاحقة يحاولون أن يجدوا فى الكتابات الأولى شيئا ليس فيها ، وهو نظرية الاشتراكية الاخلاقية اللاتطبيقية ، وهي نظرية مثالية قديمة مستعارة من الفلسفة الكانتية الجديدة .

ان خرافة القول بأن الماركسية أصبحت عتيقة تقوم على الزعم بأن الماركسية نظام آراء ثابتة جامدة أرسيت منذ أكثر من قرن ، آراء كانت لها أساس فى وقت ما لكنها فقدته نتيجة التغيرات النوعية التى مر بها النظام الرأسمالي منذ ذلك الحين . وبعبارة أخرى ينكر دعاة هذه النظرية حقيقة واضحة هي أن الماركسية نظاما متطورا يرفض من حيث المبدأ المعالجة غير التاريخية للظواهر ، والتطبيق الميكانيكى لآية آراء ، نصف تطور المجتمع السابق ، على تطوره الحال أو المقبل . ولم يزعم ماركس أبدا أن الرأسمالية ستبقى على ماكانت عليه فى حياته ، وبالعكس لقد حلل تطور أسلوب الانتاج الرأسمالي الذى يولد بالطبع سمات جديدة نوعيا وهل قال لينين أبدا أن رأسمالية بداية القرن العشرين هي نفسها رأسمالية ما قبل الاحتكار فى العصر الذى نشأت فيه الماركسية ؟ انه لم يقل ذلك بالطبع . وعلى العكس من ذلك صاغ لينين النظرية العلمية للمرحلة الامبريالية الجديدة نوعيا للرأسمالية . وهل ينكر الماركسيون اليوم أن رأسمالية الدولة الاحتكارية

المعاصرة هي ما كانت عليه منذ نصف قرن ؟ على العكس من ذلك يدرس الماركسيون اليوم بعمق لا التغيرات التي جرت في الرأسمالية فحسب ، بل كذلك أسبابها بين النظامين ، والقوانين الداخلية لتطور التشكيلة الرأسمالية . مثل الثورة العلمية والتكنولوجية وتأثير الاشتراكية العالمية ، والمنافسة والصراع

وأدى تحليل الخرافة البرجوازية والاصلاحية التي نقول أن الماركسية أصبحت عتيقة الى أن تصل مجموعة البحث الى نتيجة مفادها أن هذه الخرافة تقوم عمليا على انكار تطور الماركسية ، انكار اسهام لينين البارز في تطوير الماركسية . ويظل « علماء الماركسية » البرجوازيون والاشتراكيون الديمقراطيون التحريفيون يرددون بعناد أن اللينينية ظاهرة روسية خاصة ، ليست لها أية دلالة بالنسبة للبلدان الاخرى . واشد ما يبرز في هذا الزعم هو الرفض القاطع لفهم حقيقة واضحة هي أن لينين لم يطبق الماركسية على ظروف روسيا الخاصة فحسب ، بل انه طور كل الاجزاء المكونة للماركسية تطورا خلافا .

والواقع أنها نظرة شاذة الى جوهر الماركسية تلك التي تدفع البعض الى الاصرار على أن نظرية لينين عن الامبريالية أو القانون الذي اكتشفه عن التطور المتفاوت للرأسمالية قاصران - من حيث دلالتهما العلمية والعملية - على اطار تطور روسيا السياسي - والاجتماعي . كما أن الزعم بأن تطوير لينين للفلسفة الماركسية وبخاصة تطويره الشامل للدialeكتيك المادي باعتباره نظرية للتطور والمنطق والمعرفة ليست له سوى أهمية اقليمية ، نظرة غير مفهومة بدرجة اكبر لجوهر التحليل النظري عموما . وهذا أمر بعيد تماما عن أفكار ماركس وانجلز .

وتبين كل خبرة القرن العشرين التاريخية أن اللينينية هي الماركسية التي طورت باتساق وشمول في كتابات لينين . فلا عجب أن يحاول خصوم الماركسية أن يضعوا ماركس موضع المعارضة من لينين ، أي استبعاد اللينينية من الماركسية ، أو بعبارة أخرى قصر مضمون الماركسية على عصر ماركس وانجلز الذي يختلف بالطبع اختلافا أساسيا عن العصر الحالي . وحين نتحدث عن اللينينية فإن ما يدور في ذهننا بالطبع ليس كتابات لينين وحدها ، وإنما الاسهام الخلاق للحزب الشيوعي والمنظرين الماركسيين .

ولاحظ أعضاء مجموعة البحث أن القول بأن الماركسية وتراث لينين النظري قد أصبحا « عتيقين » يحوى فكرة أخرى معادية للماركسية هي انكار الاهمية التاريخية العالمية لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى وتاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي والخبرة التاريخية والانجازات العظيمة للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي .

وقد أكد أعضاء مجموعة البحث اننا حين نحتفل بالذكرى المائة والستين لوليد كارل ماركس نزداد فهما لعمق وصية لينين بأن نستشير ماركس دائما ويعنى هذا في المقام الاول أن نتقن المنهجية العلمية للفعل الثوري العملي والتفكير

الثورى ، وأن نحلر نقليد العلماء الزائفين الذين يظلون « يكتشفون » حقائق أرستها الماركسية منذ أمد طويل . انه يعنى عدم تطبيق قوالب جاهزة على القضايا الجديدة التى يتطلب حلها طرح آراء ماركسية جديدة وتعريضها . فاستشاره ماركس تعنى ان نبقى مخلصين لمبادئ الماركسية وان تطبيق هذه المبادئ تطبيقا خلاقا ، وتطور الآراء الماركسية ، ونضعها فى عبارات أكثر تحديدا . ان لكلمات لينين التالية الدلالة ذاتها فى أيامنا « لابد للمارسى ان يعرف الحياة الواقعية ، الوقائع الحققة للواقع ، والا يتعلق بنظرية الامس » ( المجلد ٢٤ - ص ٤٥ )

قال ماركس وهو يلخص نقده للفلسفة السابقة « كان كل ما قام به الفلاسفة هو تفسير العالم بطرق مختلفة ، بيد أن القضية هى تغييره ، ويشوه مسرو الماركسية البرجوازية المعنى الحقيقى لهذه المسألة ويقولون أن ماركس ( والماركسية عموما ) ينكر ضرورة التفسير العلمى للعالم ، وبدا يشبهون اليه النزعة العملية الضيقة التى تعرضها - كما نعرف جميعا - النظريات النفعية البرجوازية . غير أن الواقع هو أن ماركس قد قدم - للمرة الاولى فى التاريخ - تفسيرا علميا للعملية التاريخية - الاجتماعية ، واكتشف قواها المحركة وقوانين تطورها وأثبت الضرورة الموضوعية للتمويل الشيوعى للعلاقات الاجتماعية . لكن ماركس كان ينتقد الباحثين الذين يقتصرون على فهم ماهو قائم ثم يقفون عند ذلك . وعلى عكس الفهم السلمى الذى يعنى انتحزب للواقع الاجتماعى البرجوازى الذى يقهر الانسان ويشوهه طرح ماركس تفسيرا علميا لهذا الواقع يغدم تغييره الثورى ، وبالتالي فقد وضع العلم ، الفلسفة العلمية ، التى تدعم نظريا التمويل الثورى للعلاقات الاجتماعية « والمادية الجدلية والتاريخية هى بالتحديد مثل هذا العلم » موضع المعارضة من التأمل الفلسفى الذى يفتح بمجرد تفسيرها ، والذي يميل لهذا السبب الى تبرير ماهو قائم بدعوى أن له أساسا محددا فى الواقع ، وتاريخه الذى كثيرا مايكون طويلا وما الى ذلك . ولا ننكر موضوعية ماركس هذه دور النظرية بل تتطلب مستوى نظريا أعلى للبحث لاكتشاف قوانين التغير فى الواقع الاجتماعى ، ولصهر النظرية بالممارسة الثورية حتى يمكنه الارتفاع بالحركة السياسية العملية بدورها الى مرحلة جديدة ارقى .

واكد أعضاء مجموعة البحث فى ختام مناقشتهم أن نظرية ماركس صمدت لمحك الزمن ، وأنها تتطور تطورا خلاقا على أساس الخبرة التاريخية الجديدة ، وأنها الآن ما تزال تمثل المرشد العلمى الوحيد للعمل فى النضال ضد القهر والاستغلال . . وفى بناء التشكيلة الاجتماعية الشيوعية الجديدة . ان النظرية الماركسية التى لا تقضى فحسب ، حاضر البشرية بل تقضى مستقبلها كذلك نظرة علمية حية الى العالم ، ترتبط ارتباطا وثيقا بنضال كل القوى التقدمية من أجل اسمى مثل البشرية وأكثرها انسانية .

# الفكر الاجتماعي عند علي مبارك

بقلم: د. محمد عمارة



لقد قيل : على السلطان انفع من  
خشب الزمان ! .. ولا عز للملك الا  
بالرجال ، ولا قوام للرجال الا بالمال ،  
ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ، ولا  
سبيل للعمارة الا بالعدل ! .. فاس  
المملكة واركانها ، وثبات احوال الامة  
وبنيانها : العدل والانصاف ، سواء  
كانت الدولة اسلامية او غير اسلامية !  
على مبارك



المجتمع الفاضل ، عند علي مبارك ، هو مجتمع : العلم والعدل ! .. لان حياة الانسان الروحية ، من حيث التدين ، مندرجة - وخاصة اذا كان مستتيها يرثا من الخرافة - في اطار العلم .. فبالعلم يحقق الانسان ، كجنس ، ثراء الدنيا والآخرة .. اما العدل فانه الضمان كى يكون هذا الثراء ، فى الدنيا ، عائدا الى مستحقه وصنائه ، كما هو الحال مع ثراء الآخرة الذى يحكم فيه المولى سبحانه بالقسطاس المستقيم ..

والعدل عند مفكرنا الكبير نسبي ، وهو فى ذلك متفق مع كل المفكرين والباحثين .. وهو أيضا عدل المرحلة التاريخية التى عاشها ، والمجتمع الذى ألقى بثقله كى تميشه مصر والشرق فى ذلك الحين .. مرحلة التحول من اقطاع العصور الوسطى وتخلفها وظلماتها الى المجتمع البورجوازى الحديث والمستنير ، بكل ما كانت تبشر به الطبقة الوسطى من مسور مجتمعا البورجوازى الجديد المنشود .. فلقد كانت تلك هى أحلام المستنيرين ودعاة التقدم ، فى مجتمع لم يكن الفكر الاشتراكى ، أو تطبيقه ، قد أصبحت فيه بعد قضية مطروحة على الناس والحياة ..

ولقد تصور علي مبارك ، المفكر ، هذا المجتمع المنشود فى صورة حديثة لمجتمع ( المدينة الفاضلة ) الذى كتب عنه أبو نصر الفارابى ( ٣٦٠ - ٣٣٩ هـ ٨٧٤ - ٩٥٠ م ) ومن نحا نحوه من المفكرين القدماء ..

فالسياسة فيه أقسامها أربعة :

١ - سياسة الانسان نفسه ، وهو ما سماه أسلافنا الفلاسفة بعلم الاخلاق ، وما أسماه آخرون منهم بالتصوف الظاهر ..

٢ - وسياسة الاسرة لمنزلها ، من حيث نظامه وتنظيمه وتدبير السير فيه وفى موارده ومصارفه ، وتربية ناشئيه .

٣ - وسياسة المدينة ، باعتبارها المنزل العام للامر القاطنة فيها ، والصورة المصغرة للدولة والامة ..

٤ - وسياسة القطر ، أى الدولة والامة ، وهى السياسة العامة والكبرى فى هذه الاقسام ..

ولا بد لسياسة فى هذا المجتمع من قانون يضبطها ويحكم جوانبها ويحدد الاختصاصات فيها ويوزع الادوار على القائمين بالشئون .. وهذا القانون ان خرج عن دائرة الفكر والتفكير والتعقل والصنعة الانسانية ، سمي وحيا ودينا .. أما ان جاء ثمرة « لاجالة الفكر ، وتدقيق النظر ، ومقارنة الاحوال وموازنة العواقب » فانه يسمى « بالحكمة العملية » - فى مقابلة « الحكمة العلمية » ، لان أهله - الحكماء - يتخيرون من نصوصه ومواده وقواعده « ما كان أسهل

مسلكا ، وأعلى غاية ، وأبعد من شوائب الفساد ، وأقرب الى الضبط ، وأجمع للخير .. وما تطابقت عليه الآراء .. »

وسواء أكان القانون وحيا ودينا ، أو كان حكمة عملية وضعها وتخيرها الحكماء ، فلا بد له من علل تحكم ترجيح الإخذ به وتقديره على سواء ، كما لا بد له من أصول مستحسنة لدى الجماعة التي يسن لها هذا القانون « .. فالقوانين العامة التي يراد بقاؤها على مرور الزمان يجب أن تكون ملحوظة الأصول والفروع بلواظ الاستحسان ، وأن تكون مربوطة بعلة صحيحة وأغراض حميدة يفهمها كل أحد ، ويرى أن لا سداد لأعماله وحسن حاله ومآله إلا بالركون إليها والتمويل عليها .. »

والمحور الأكبر الذي يميز صلاح القوانين من فسادها هو مدى تحقيقها للغاية الأولى والاساسية والكبرى في هذا الوجود ، وهي حفظ حياة الانسان ، بكل ما تتطلبه من فروع وتفصيلات ، ذلك « أن مدار أمر الحي على ما يحفظ به حياته ، أصلا وتوابع ، فكل أمر له دخل في ذلك فهو محبوب مطلوب ، وكل أمر أوجب فيه نوعا من الفساد فهو مبغوض ! » ..

والعالم ، عند علي مبارك ، كما هو عند أصحاب ( المدينة الفاضلة ) : « شخص واحد ، ذو أعضاء ! » .. وفي هذا العالم مصالح خاصة ومصالح عامة .. ولابد من تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة ، عند التعارض ، خصوصا وأن المصالح العامة ، اذا دققنا النظر وأنصفنا ، تتضمن في داخلها المصالح الخاصة ! .. وعلى الموقف من هذه القضية ، قضية العلاقة بين المصالح العامة والمصالح الخاصة ، وتغليب أى منهما على الأخرى ، يتوقف المصالح والفساد في هذا العالم .. « فإذا نظر في أحكام المصالح العامة وتأيندها وتبين قواها كانت المصالح الخاصة تابعة لها ، جارية على منهاجها ، ومتى كان النظر مقصورا على المصالح الخاصة نجم الفساد واستحكم ، ولم يتم أمر مصلحة لما يكون في الاستئثار من المباغضة والمشاغبة ! » (١)

وحتى يتحقق هذا المجتمع « القانوني » الملتزم بالقانون ، فلا بد أن يكون الحاكم والمحكوم أمام هذا القانون سواء ، بل وأن يكون خضوع الحاكم للقانون مقدما على طلب الخضوع له من المحكوم ، فالقدوة أولا ! .. « فالواجب على ولاية الامور ألا يقطعوا في حكم الا من القانون ، لانهم متصرفون في الملك وفق الشريعة ... ولهذا لا يصلح لولاية الامر الا من قطع عن الطمع أملة ، ووافق قوله عمله ، وكذلك عماله وتوابعه .. والا كان كما قيل :

ومن يربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب ؟

---

(١) ( علم الدين ) المسامرة العاسسة والثمانون ( تعدد الزوجات ) ، -

ولا يكفي أن يحكم المجتمع قانون .. اذ لابد أن يكون هذا القانون عادلا  
» لانه بغير العدل لا يتم صلاح .. ولولاه ما قدر مصل على صلاته ، ولا عالم  
على نشر علمه ، ولا تاجر على سفره ، وهو صفة في الذات تقتضي المساواة ،  
وهذه الصفة اكمل الفضائل ، لشمول أثرها ، وعموم نفعها ، واليها الاشارة  
بقوله صلى الله عليه وسلم : « بالعدل قامت السماوات والارض » .. ولم يخلق  
الله تعالى احلى مذاقا من العدل ، ولا أمر من الجور (١) ..

لكننا ونحن ننظر في هذا الفكر الاجتماعي لملي مبارك ، الذي تتكرر فيه  
مصطلحات : « العدل » و « المساواة » ، يجب أن نحذر فهم هذه المصطلحات على  
ضوء المفاهيم السائدة في عصرنا نحن ومجتمعنا ، بل يجب رد معانيها  
ومضامينها كي تتحدد في اطار نصوصه كلها ، وعلى هدى من تجربة مجتمعه  
وأهداف الجيل المستنير الذي كان أحد مفكره ووصله .. فهم من  
مصطلحات الفكر البورجوازي ، الذي كان متقدما وتقدميا وثوريا في تلك  
المرحلة التاريخية ، وليست ، على وجه القطع والتحديد ، من مصطلحات الفكر  
الاشتراكي ، ولا تمثل أوعية لمضامينها في فكرنا الاشتراكي الحديث ..

فالاشتراكية تسعى الى مجتمع غير طبقي ، يكون التمايز ، المحدود ، فيه  
بناء على معيار العمل وحده ، ويقوم هذا التمايز في اطار المجتمع كله كطبقة.  
واحدة .. بعد أن ينتهي التعدد والتناقض ومن باب أولى ، الصراع بين الطبقات  
.. على حين لا نجد في نصوص على مبارك ما يشير من قريب أو بعيد الى تبني  
مثل هذه الفلسفات والمفاهيم ..

وفي النصوص التي تحدث فيها على مبارك عن الفكر الاجتماعي ، وتطوره  
التاريخي ، نجد أنفسنا حيال صياغات تقدم عددا من الافكار ..

● فالطبقات قد ظهرت كثمرة لاختلاف نوع العمل ، فهناك عمل ذهني ،  
وآخر يدوي ، ومن هنا نشأ التفاوت في الثروات ، وكانت نشأة الطبقات ..  
وما تسميه الاشتراكية صراعا طبقيًا ، مشروعا ، بل وواجبا على الاشتراكيين  
والثوار تغذيته ، نجد اسمه في هذه النصوص « تحاسدا وتباغضا وعداء ! » ..  
ومن ثم فإن الدولة ، كجهاز قمع وقهر ، ضروري لحراسة هذا التفاوت وكبح  
جماح الحاسدين ! .. واذا لم يكف جهاز الدولة ، ولم تنهض القوانين بتلك  
المهمة على النحو الامثل ، فلا بد من الاستعانة بالوعاظ والدعاة الى الزهد  
والقناعة كي يسهموا في تخفيف الحسد والبغض والعداء الذي يوجهه الادنون  
الى الاعلى ! .. انه مجتمع يقر الطبقيّة ، ويكرسها ، ويبحث عن الوسائل  
لحمايتها من الساعين الى الفائتها ! ..

(١) المصدر السابق . المسامرة الخائفة والثمانون ( الفلاحة والزراعة )

تقول هذه النصوص : « ان ادارة الاعمال الدنيوية محتاجة الى عملين ، عمل بالابدان وعمل بالارواح . وقد فاوت الصنع الرباني بين الناس ، فجعل بعضهم اذكياء ، والبعض أغبياء ، وكفل بعضهم بعضا ، فكان اشتغال اذكياء الناس بالفكر في مصالحهم وتدريب ما تحسن به احوالهم ، فلزم في مقابلة هذه الخدمة الروحانية ان يخدمهم بقية الناس بآبدانهم ، ويريحوهم من تجشّم الكلف في تحصيل مؤنهم ، فظهر الفقر والغناء ، وبموجب ذلك نجم بينهم التحاسد والتباغض والتعادي . . فعند ذلك وجب وضع القوانين وتجنيد الجنود ووضع القلاع والحصون وتصوير آلات القتل لتحتاج الناس بعضهم عن بعض . ولزوم عمله الذي استعد له . . . ولم تكن القوانين الحكمية - ( الوضعية ) - كافية في حسن صحابة بعضهم بعضا ، لكونها تتعلق بظواهر الاحوال ومشاهداتها ، فيتعين لذلك وجود طائفة من الناس يتكلمون بمثالب الدنيا وعيوبها ويزهون فيها وينهون عن شدة التزاحم عليها ، ليثبت اهل القلة فيها على اشغالهم الشاقة التي لاجلها خلقوا ، ولا يبدلوا قواهم في معارضة الكثيرين ومضاربتهم ، فتبين من ذلك ان اعمال الناس وطائفت خدمة مقسمة على طوائفهم ، لا يصح ان يفاضل بين اهل وظيفة وغيرها ، وانما المفاضلة بين اشخاص كل وظيفة ، فمن قام بوظيفته حق القيام بها ، مقتصدًا دون افراط وتفریط، كان محمودا ، ومن مال الى أحد الطرفين كان ملوما بقدر ميله ! . . »

فنحن هنا أمام نص :

١ - يقسم العمل الى : فكري ، ويدوي . . ويرى في ذلك المنشأ للفتاوت الطبقي . . ويسمى الطبقة : « وظيفة » ! . .

٢ - يدعو الى أن تكون المفاضلة ، والتقدم والتأخر ، بناء على العمل ، وفي داخل إطار « الوظيفة » ، أي الطبقة . . ولا يصح أن يمد أهل طبقة عيونهم الى ما تمتع به أهل طبقة أخرى ! . .

٣ - والحارس لذلك هو جهاز الدولة وقوانينها الوضعية . . ولما لم تكف في كبح جماح التحاسد والتباغض والتعادي ، جاءت القوانين الدينية ، ووعاظها والداعون الى الزهد وذم الدنيا ، فكرسوا جهودهم « لتثبيت أهل القلة على اشغالهم الشاقة . . ويكفوا عن معارضة الكثيرين ومضاربتهم ! »

لكن على مبارك لا يرى في هذا المجتمع - الذي يصوره هذا النص - العدل الذي تحدث عنه ودعا اليه . . لانه يرى أن وجود جهاز الدولة ، بمؤسساته القمعية القهرية ، ويرى في استعانة هذا الجهاز بمؤسسات الوعظ والزهد وذم الدنيا ، اللبيل على اقتقاد العدل والانصاف ، فيحدثنا في نفس النص - عن أن الناس لو انحازوا الى العدل وحققوا الانصاف لما احتاجوا الى أجهزة القمع هذه . . يقول : « . . ولو سلك الناس سبيل الانصاف لم يحتاجوا الى شيء من ذلك ، كما قيل :

لو أنصف الناس استراح القاضي وبات كل عن أخيه راضى ! (١) »

فى رأينا أن على مبارك ، فى هذا النص قد قدم وصفا وتفسيرا للواقع الاجتماعى التاريخى الذى قسم المجتمع الى طبقات ، والذى أفرز جهاز الدولة ومؤسسات الوعظ لتكريس مقاليم ذلك الواقع .. فهو هنا يصف ويفسر واقعا تاريخيا .. ثم ينبه على أن فى العمل الغناء عن أجهزة القمع والقهر والوعظ والأرشاد ! ..

● لكن الرجل يظل فى إطار الفكر البورجوازى ، ومع المجتمع الطبقي شريطة أن يكون عادلا ، أى أن يكون التفاوت فيه بناء على « العمل » ، وليس راجعا الى نظام الاقطاع وقيم العصور الوسطى .. ومن هنا كان تقديره علوم التجارة والصناعة كى تأخذ مكانها بين العلوم الشريفة ، على حين قصر الاقطاع وعصوره الوسطى الشرف فقط على علوم الدين .. ومن هنا أيضا كان حديثه عن التجارة والصناعة ، كمهنة وحرفة ، بعبارة من المهن والحرف الشريفة ، وتفصيله للعرب والمسلمين على اليونان ، لأن العرب لم يأنفوا الصناعات ، بينما رأى اليونان فيها مهنا لاتليق إلا بالارقاء فنحن « اذا تتبعنا أحوال متقدمى الاسلام ومشاهير امرائه والحكام لم نجد أحدا منهم الا وله حرفة يتقوت منها أو صنعة لا يستغنى فى معيشتة عنها ، علمية كانت أو عملية .. ونحيث كان القرآن حاثا على العمل والسعى فى طلب الرزق حتى كاد بعد فرضا ، خصوصا وقد مدح التجارة والصناعة ، ولم يبق عند العرب أوامم بالنسبة لاقتضاع الصنعة وشرفها ، فلم يكن أحد منهم يرى أنه أشرف من غيره ، ولا أنه قروى وذلك مدنى ولا أنه فقير وذلك غنى .. فكانت الصنائع تشرف بهم لا أنهم يشرفون بها ! (٢) ..

فكل الصنائع شريفة ، ولا فضل للمدينة وأهلها على الريف وأهله .. وتلك قيمة جديدة من قيم مجتمع جديد ، وقسمة جديدة فى فكر اجتماعى جديد .

● وفى هذا المجتمع كان المصلحون يتطلعون الى التقدم ، والى اسهام أصحاب رموس الأموال والمخدرات فى تكوين الشركات المساهمة لتصنع فى اقتصادنا ما صنعت مثيلاتها فى أوروبا البورجوازية .. والشيخ « علم الدين » ( يظل رواية على مبارك ، التى تحمل نفس الاسم ) - عندما أبصر فى ميناء مرسيليا أثر تلك الشركات ، دون ملاحظاته ، وبعث بها الى زوجته ، وتمنى أن يحدث ذلك فى بلاده .. يحدث زوجته عن مشاهداته على أرصفة ميناء مرسيليا فيقول : « .. ورأيت على الارصفة مخازن .. قد بناها ،

(١) المصدر السابق • المسامرة الثانية والخمسون ( ثم الدنيا ومدحها )

(٢) المصدر السابق • المسامرة العشرون ( العرب )

بإذن الحكومة ، جماعة من مشاهير القوم وأغنيائهم ، اجتمعوا وعقدوا بينهم جمعية اشتراك على رأس مال قرره للصرف على أنشائها ، يدفع منه في كل سنة جزء على التدرج ، الى تمام نسع وتسعين سنة .. ومعظم أعمالهم الجسيمة تتم بهذه الكيفية .. وأصل مال الشركة المذكورة عشرون مليوناً من الفرنكات ، تعدل ٨٠٠.٠٠٠ جنيه انكليزى من النقود المصرية ، قسموه على أربعين ألف منهم ، فخص كل منهم خمسمائة فرنك (١) ! .. »

وتلك قسمة ، تطبيقية ، من قسمات ذلك المجتمع الجديد ، تضع يدنا على نوع فكره الاجتماعى الجديد .. بل لقد دعا على مبارك الى أن تسلك مصر ذلك الطريق ، ومارس ، عملياً ، وضع هذه الافكار فى التطبيق عندما تولى نظارة الأشغال .

● وأيضاً .. فان الرجل وهو يختار هذا الموقف الاجتماعى ، ويدعو الى مجتمع بورجوازى جديد ، يعلى من قيمة العمل ، وينشد قدراً من العدل النسبى ، فى اطار طبقات تتخذ من العمل والحرف والصناعات مجالاً لتنافسها .. قد :

١ - وجه نقده الى فكرة « الاشتراك العام فى الثروة والاموال » ، على نحو مايدعو اليه الاشتراكيون .. وذلك عندما عرض بالنقد والاتهام « المزدك والمزدكية » ..

٢ - ووجه نيران هجومه لكل قيم المجتمع الاقطاعى وبقياء افكار طبقاته وأصحابه ومفكريه ، على نحو يقطع بعدائه الشديد له ..

فهو اذن ، مع مصلحي عصره ، والجيل المستنير الذى بدأ برقعة الطهطاوى « ١٨٠١ - ١٨٨٣ » قد راوا فى المجتمع البورجوازى المستنير ، المهمة التى يجب الكفاح من أجل الانتقال بالبلاد اليها ، لأن النجاح فيها يعنى التخلص من بقايا العصور الوسطى ، وتحقيق النموذج الاوروبى ، سواء فى التنمية الاقتصادية او الاجتماعية او فى الاستنارة والتنوير ، دونما تصارض مع الموروثات الثابتة وغير البخيلة فى ترانثا الفكرى والدينى ..

وهم فى موقفهم هذا كانوا طلائع التقدم فى ذلك التاريخ .. على الرغم من تصورهم غير السليم للاشتراكية ، وحديثهم الناقد ، فى ظلم ، لاسساس الفلسفة الجماعية عند الاشتراكيين .. (٢)

(١) المصدر السابق . المسامرة الخامسة والثلاثون ( كتاب علم الدين )  
(٢) انظر الفصل الذى كلفته عن الفكر الاجتماعى لرفاعة الطهطاوى . من ١٧٥ - ١٩٩ من الجزء الاول من ( أعماله الكاملة ) طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م .

أما نقد على مبارك لمزدك والمزدكية ، فيقول : « انه في زمن الملك قباز - ( ٥٢١ م ) والدكسرى أنو شروان ( ٥٣١ - ٥٧٩ م ) - حدثت فتنة .. وكان سببها أن ظهر في أيامه رجل زنديق يقال له مزدك .. أحدث مقالات في إباحة الفروج والاموال ، وقال : ان الناس في ذلك سواء ، لانهم جميعا أولاد آدم وحواء . وحرم سفك الدم ، وأكل اللحم ، فاتبعه خلق كثير .. وكان الملك قباز ممن تبعه .. فلما مات قباز ، وقعد ابنه كسرى أنو شروان على التخت مكانه ، جمع جميع خواصه ليعاهدهم ، فكان مما قاله لهم : اني اشهدكم على اني لا أدع أحدا من المزدكية الا قتلته ، لانهم اباحوا نساء الناس وأموالهم وجعلوها مشتركة بينهم .. حتى اختلط أسافل الناس بعناصر الكرماء ! (١) .. »

أما هجوم على مبارك على قيم المجتمع الاقطاعي وافكار العصور الوسطى ، فاننا نجد في أغلب ماكتب من فصول وصفحات ، وفي كل موطن بشر فيه يقيم العصر الحديث والمجتمع الجديد .. فهو :

### ١ - ينتقد الأرستقراطية الجاهلة :

وكانت تتألف أغليبتها بمصر ، يومئذ من الشراكسة والأتراك .. ويتحدث عن ترحيبها بمصاهرة الجهال ، اذا كانوا أثرياء ، وانفتها من مصاهرة العلماء اذا كانوا ، في الماء ، فقراء .. وما ذلك الا لجهلها بقيمة العلم ومكانته ، ومن ثم عدائها له ولاهله « لان الانسان عسود ما جهله ، ومن جهل شيئا عاداه (٢) .. »

كما يتحدث عن مظهر عام من مظاهر سفه هذه الأرستقراطية ، وسمة من سمات جهلها ، يتجلىان في الاسراف وكثرة البذخ وزيادة الاستهلاك .. فهي تظن أن زيادة الاستهلاك في المجتمع دليل ثرائه ! .. وعلى مبارك يدين تلك الافكار الجاهلة ، وينكر أن يكون الاستهلاك الكثير عنوان ثراء للمجتمع ، لانه استهلاك قلة من المجتمع وليس استهلاك المجتمع كله ، فهو صفة لهيئة الطبقة أو الشريحة الاجتماعية لا يصح تعميمها على بقية الطبقات .. ثم يقدم لنا المعيار الذي يراه صادقا في الدلالة على مدى ثراء المجتمع ، وهو **كثرة العاملين المنتجين** ، لا **كثرة الاستهلاك** ! بل ان كثرة العاملين المنتجين ، عند على مبارك ، هي مقياس الكثرة العددية للامة ، فالامة الأكثر عددا في العاملين المنتجين هي الأكثر عددا حتى ولو قل مدد سكانها عن نظيرتها التي تجم بالسكان الكثيرين وتفترق الى العاملين المنتجين ! .. يقول على مبارك :

(١) ( علم الدين ) المسامرة الحادية والثمانون ( باريس ) وانظر نفس الفكرة عند الطباطبائي من ٥٣٦ ج ٣ من ( أعماله الكاملة ) .  
(٢) المصدر السابق . المسامرة الثامنة والثمانون ( الفلاحة والزراعة ) .

« .. وقد توهم بعضهم أن كثرة الامة وقتلتها تابع لما يستهلك ، قلة وكثرة اعنى أنه كلما كثر المستهلك كثرت الامة وكلما قل قلت : وهذا التوهم لا يسلم به الا لو اقتصر على ما لا بد منه - ( أى على استهلاك الضروريات ) - والواقع غير ذلك . فانا نرى القليل من الامة يصرف أضعاف ما يصرفه الكثير منها ، فاذا تأملنا ذلك وجدنا مصير الثروة وعدمهما تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة - ( وكانت عصب كل الاقتصاد يومئذ ) - وقتلهم ، فكما كثروا أخصبوا ، وكما قلوا اجنبوا ، فإى قوم لم يشغلوا بأمر الزراعة وتوابعها كانوا وبالا على الامة عموما وعلى المشتغلين بها خصوصا ، فحينئذ يجب على ولاية الأمر التنبيه لذلك ، وحمل أهل البطالة على العمل .. »

فهو ضد ارسقراطية الجاهلة ، التى تزيد ، ببطالتها وبدخها ، المجتمع فقرا ، على حين تحسب أن فقرها هذا هو عين الثراء ! .

وتجدر الاشارة الى أن تهمة الاشتراك فى النساء ، التى نسبها عدد من المؤرخين للمزدكية ، ومن بعد الى القرامطة ، قد نفاه مؤرخون آخرون . وأغلب الظن أنها فرية من مؤرخى السلطة الذين كتبوا التاريخ من وجهة نظر الطبقات المالكة والسلاطين .. فلقد كان للمزدكية أنصار وأتباع من العرب ، لا الفرس فقط ، وكان والد امرئ القيس ملكا عربيا هو وقومه على مذهب مزدك ، وكذلك ابنه امرؤ القيس .. وكان مقتل أبيه انقلابا ضد هذا المذهب ، ولا يعقل أن يرضى العرب بمذهب تباح فيه فروج النساء !!

## ٢ - ويهاجم الالتزام فى الزراعة :

وكان أبرز أساليب العلاقات الاقطاعية فى الانتاج الزراعى قبل أن يدخل محمد على بمصر الى رحاب العصر الحديث ، يوم الفى الالتزام وأحرق عقود المتزمين ! .. وعلى مبارك يحدثنا كيف أصبح استغلال المتزمين اشد من استغلال الحكومة ، وكيف أضحت مكاسب خزائنهم من عرق الفلاح وانتاجه اكثر تضخما من مكاسب خزائن السلطين .. فالتقررات على القرى فى سنة ١٧٩٨ م ( ١٢١٣ هـ ) كانت تتضاعف ، رغم أن « حق السلطان ومصاريف الناحية لم يزد فيها شيء ، بل الزيادة كانت فى رسوم المتزمين ، ولو رجعنا الى ما كان يخص المتزم من ذلك لرأيناه قريبا من أربعة أمثال ما كان يدخل خزينة السلطنة ، ومجموع القرامات خمسة أمثال المخصص للسلطنة ! »

كما يهاجم السخرة فى الاعمال الفلاحية ومشاريع ضبط النيل ، ويدعو الى الغائها ، لاسباب انسانية ، بل ولاسباب اقتصادية تمثل فكرا بورجوازيا مستنيرا فيما يتعلق باقتصاديات العمالة . فعائد الاعمال التى ينجزها



الفلاحون بالسخره لا يوازي نقص انتاجية ارضهم نتيجة تركهم لها ، قسرا ، الى مواطن العمل الذى يسخرون فيه ، ومن ثم فان انجاز هذه الاعمال بواسطة الشراكات ، والعمل الذى تحفز الاجور اصحابه هو اكثر فائدة وفعالية وانسانية ، وايضا اكثر اقتصادا .. ! ولقد كانت اغلب اعمال السخره فى مشاريع الرى تتم فى فصل الشتاء « .. وهؤلاء العمال اكثرهم فقراء ، ليس لهم ما يقيهم المطر والبرد ، فتحملهم الشدة على الهرب واستعمال أنواع من الحيل تخلصا من هذه الشدة ، خصوصا وهم ليسوا بمؤجرين ولا مختارين ، بل هم مساقون الى العمل مجانا واضطارا ، فاذا هربوا جلبوهم ، او غيرهم ، مرة أخرى بالضرب والاذى ، فينقادون حفاة عراة جياعا ، فيعانون من الاهوال مانعانون ، وتفوتهم اشغالهم الخصوصية والاشغال المنوطة بهم . فما كانهم الا قوما استوجبوا عليهم العقاب ، فهم يساقون الى العذاب الاليم ! .. على أننا ، بعد معاناة هذه المصائب ومقاساة تلك المشاق ، لا نجد الفاية المقصودة من جمعهم قد تحصلت ؟! (١) » .

### ٣ - ويدافع عن الفلاحة والفلاحين :

فلا يبل هذا الدفاع ! .. لان الدفاع عن الفلاحة هو دفاع عن دقيمة العمل ، يعلى من شأنها ، وهجوم على « قيمة التبطل » التى كانت من مميزات عصر الاقطاع .. فنسند « ان ثواب اعمال الانسان على قدر ماينتج للخلق من الفائدة خصوصا فى فن الفلاحة .. وما جاء الفساد الا من اهمال فى الفلاحة ، وميل الكثير الى الزهو والتعلق به ، وكثرة ما يستهلك ويصرف على القليل من الناس ! .. ان كل ما يستهلك فى امر الزهو مضاد لمنفعة الامة ، فيلزم مدبر امر الامة ان يصرف جميع همته فى توجيه افكارها نحو البساطة والقناعة .. واوى اسباب تاخير الزراعة احتقار اهل الفلاحة ، وعدم الالتفات اليهم ، وترك التبصر فى احوالهم ، وارتكاب ما تضييع به ثمرات الفلاحة ، من تسخير أهلها بالسيف والقهر ، والتعدي عليهم بما يقهقر حالهم ويفسد عليهم اعمالهم ، والتغالى فى الزينة والزهو والاكباب على اللعب واللهو ، خلافا لما يرضه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة ، فضرر حب الزهو والفقر كضرر المحاربة ، بل أضر ، لان المحاربة ، وان كانت تضر باوضى الزراعة ، لا تضر بالامة ، وان أضرت فضررها وقتي ! .. ان ولى الامر الذى يظلم اهل الفلاحة يكون كمن هدم أساس بيته بفاسه ! .. (٢) »

(١) المصدر السابق . الباب الاول . فصل فيما يتعلق بالليل وفروعه من تطهير وانشاء قناطر وجرف جسور ونحو ذلك .  
(٢) ( علم الدين ) المسامرة الثامنة والمانون ( الفلاحة والزراعة ) .

فهو يدافع عن مجتمع المنتجين ، ويدين مجتمع الارستقراطية الاقطاعية - وقيمها ٠٠ وهو يشدد من دفاعه عن أهل الفلاحة ، لان أهل الفلاحة والفلاحين كانوا هم المصريون ٠٠ فلقد كانت كلمة : فلاح تعني : مصرى ، لان المصرى كان هو العامل المنتج ، على حين كانت الارستقراطية الشركسية التركية الكردية الارنؤدية ٠٠ ألخ ٠٠ ألخ ٠٠ تمارس دور الاقطاعى الجاهل ، المغالى فى الزينة والزهو ، والمكب على اللهو واللعب بالثروة وبمقدرات البلاد .

#### ٤ - ويدعو الى تنظيم المصارف :

على النحو الذى رآه فى باريس ، حتى تتخلص البلاد من الاستغلال الربوى والفاحش الذى فاق كل التصورات ، والذى كان يمارسه « صيارفة حارة اليهود ! » ٠٠ فلقد كان سعر الفائدة - ويسميه الفرط ! - يصل الى ٤٪ شهريا ! ٠٠ أى ٤٨٪ سنويا ٠٠ فاذا جاء المزارع واقتضى مائة جنيه ، كتب عليه صك الدين بمائة ، وتسلم نصف المبلغ تقريبا ! ٠٠ وكانت أغلب القروض لقاء رهن أو ضمانه ٠٠ وعندما يعجز عن السداد تتحول الى دين جديد « بفرط » جديد وشديد ! ٠٠ حتى ينتهى الامر ببيعه لرهنه ، ونزع ملكيته عما يملك ٠٠

دعا على مبارك الى قيام المصارف التى تفك ضائقة المزارعين دون أن تصل بهم الى ما وصلوا اليه مع صيارفة حارة اليهود بالقاهرة ٠٠ وحتى لا يضطرون الى بيع محاصيلهم ، قبل نضجها ، وبأبخس الاثمان ! (١)

#### ٥ - ويسفه من أحلام المجتمع الاقطاعى :

ويسخر من قيمه التى تمجد الرضا بالدون ، والقناعة بالتافه ، وتزهده الناس فى التنافس على تحصيل المعالى وبلوغ درجات الترقى ، وتنظر للعلم نظرة ضيقة الأفق وقفت به عند « الحكايات والمحاكات » التى برع فيها الازهريون وتجمد عندها الازهر ، وتحقر الفلاحين وتهرب من العيش بينهم تاركة الجهل يفتك بهم ٠٠ يهاجم على مبارك كل هذه القيم والمثل الاقطاعية ، ويقدم ، بدلا لها ، « قيمة العمل المنتج والعلم النافع » سبيلا لتحصيل الثراء والغنى والتمتع بالنصيب المعتدل والمشروع من طيبات هذه الحياة ٠٠ وفى رواية ( علم الدين ) نجد الشيخ قد تزوج وأنجب اولادا أربعة ، أضيّفوا الى أخوته الثلاثة ، فغدت العائلة تسعة ٠٠ وهو يلازم « عمودا » بالجامع الازهر يعلم الطلاب عنده ، ولا يعلم الا عنده ! ٠٠ ومصدر رزق

(١) المصدر السابق . المسامرة ( ١٠٣ ) ( البورصة ) .

الأسرة : جريته من الأزهر ، ونفحات أهل الخير له لقاء قراءة القرآن . .  
 لكن كثرة عدد أفراد الأسرة ، وقلة الدخل ، جعلتهم يعيشون ضائقة مالية  
 شديدة . . فالزوجة تبكي اذا انفردت بنفسها . . والزوج « علم الدين »  
 يرى ثراء الجاهل وبذخ العاطلين ، فيحزن ، ويتساءل . . ويتمرد عقله على  
 المسلمات . . حتى ليخشى « الاعتراض » على السنة السائدة فيسرع مفوضا  
 أمره الى مولاة ! . .

لكن الألم والحزن تظهر آثارهما على كل من علم الدين وزوجه . . ويتفجر  
 الموقف ، وتتم المصارحة من خلال حوار تقود فيه الزوجة حملة ادانة لقيم  
 المجتمع القديم ، مبشرة بقيم المجتمع الجديد . . حوار بدأت الزوجة فقالت :  
 - ان البكاء الذي عراني ، والنحول الذي اعتراني ليس لك فيه سبب .  
 - وكيف ؟

- نظرت لفقر حالنا ، وكثرة عيالنا ، فأسفت من ضيق عيشهم في حياتنا ،  
 وخفت من سوء حالهم بعد مماتنا ، وذهلت عن قول الله تعالى : ( وما من دابة  
 في الارض الا على الله رزقها ) ( ١ ) ( ٠٠ ) فهذا الذي أجرى عبرتي ، وأضرمت  
 لوعتي ، وأرجوك ألا تؤاخذني في ذلك ، فانك تعلم أن النساء أكثر من  
 الرجال شفقة ، وأعظم منهم رافة ورقة ! .

- ان الذي قام بفكرك قد أوقعني الشيطان فيه من قبلك . . ! فأجبتني  
 لا أدخل ولا أخرج الا حوقلت ، ولا أرى سوقا ولا بيتا مزخرفا الاسترجعت ،  
 لما أراه من ضيق دويرتنا وشدة عيلتنا ، وأرى الكثير من المنعمين في الدنيا  
 وشهواتها مجردين عن العلوم الشريفة وأدواتها وغالب أهل العلم والكمال  
 في معزل عن السعة والمال ، فأجد العلم مقرونا بالفقر ، والجهل ملازما  
 للسعادة ! . . وأعتقد أن الصواب ما ورد في الكتاب من قوله تعالى :  
 ( وبشر الصابرين ) ( ٢ ) ، وأمثال ذلك ، لكن الحواس لا ترى الا ظواهر  
 الاشياء ، والعقل ان لم تدرك صاحبه الطاف ربه يحكم بما شاهده وشهدت  
 به ! . . فهذا الذي كان يعتريني فكنت أجتهد في اخفائه عنك ، واسأل الله  
 دواء لهذا الداء ، فانه وهن عظمي ، وأوهى جسمي ، وشغل فكري ، وحيرني  
 في أمري ! . .

- ان آكاير الفضلاء والمتقدمين من الحكماء قد أطالوا القول في مدح العلم

(١) هود : ٦ .  
 (٢) البقرة : ١٥٥ .

وأهله ، وربما جعلوه بابا للرزق وأصله ٠٠ ولقد قيل في الامثال : « الجاهل عدو نفسه » ٠٠ ومن كان عدو نفسه كان عدو ربه ٠٠ لكن هناك أشكال ! ٠

— وما هو ؟! ٠٠

— اذا كان العالم حبيب نفسه وحبيب ربه ، والجاهل عدو نفسه وربه ، كما قلنا ، ورأينا الغنى والسعة عند أهل الجهل ، والفقر والقلّة مع أهل العلم والفضل ، كما تقول ، فما الحكمة في ذلك ؟! ٠٠ وكيف يكون الحبيب محروما من نعم حبيبه ، المتقلب فيها عدوه ؟! ٠٠

— هذا قضاء الله ، السابق في مكنون علمه ، وهو الفعال لما يريد ٠٠ وانما علينا الصبر والرضا !

— مهلا ! فهذا شيء عرفناه قديما ، وقرعنا منه تعلمنا وتعلينا ٠٠ ان الله لا تغلو أفعاله عن أسرار عليّة ، وحكم خفية أو جلية ، فان الانسان ، من خلقه ، اذا آتاه حظا عظيما من العقل وقديرا وافرا من الحكمة ، نجده ترفعت نفسه عن الباطل ، وتنزهت أفعاله عن العبث ، حتى لا يكاد يخلو حال من أحواله شيء من أقواله وأفعاله عن حكمة ٠٠ فما ظنك بالصانع القدير ؟! ٠٠ فلا يحسن بنا اذا لم يظهر لنا السر من أفعاله بادى ، بدء ان نقطع الامل من معرفته ، بل نطلب الحكمة على قدر الاستطاعة ، باشغال الفكر وأعمال البصيرة ٠٠ وقد تقرر ان اليسير من فكر الجنان افضل من كثير من عمل الأركان ؟! ٠٠

— اما ما سألت عنه فللناس فيه أقوال كثيرة ، منها أن الله لما رزق العلماء ما رزقهم من كمال العقل والمعرفة والفضل جعل للجهلاء في مقابلة ذلك ما منحهم من رغد العيش وسعة المال وكثرة الغنى ٠٠ لتعتدل القسمة .

— هذه وجوه خطائية ! ٠٠ لا تطرد في جميع الاحوال ٠٠ فكم رأى الناس من عالم غنى وفقير غبى ! ٠٠ والذي يخطر بالبال أن العلم ليس من أسباب الفقر ، ولا الجهل من أسباب الغنى ، ولا ملازمة بين هذه الامور ، بل القضية على العكس ! ، والعلم أحد موجبات الغنى والسعة ، والجهل أحد أسباب الفقر والضعة ، لولا عوارض وأسباب آخر ، غير العلم وغير الجهل ، وذلك أن الله سبحانه لها جعل هذه الدار موضع الكسب والسعي والاختيار ربط الامور فيها بأسباب عادية تحصل عندها وتوجد معها ، كتحصيل الشبع والرى بالاكل والشرب ، وأمثال ذلك مما أجرى به العادة في خلقه ، ومن ثم أمرنا بالسعي والعمل ، لا بالبطالة والكسل ، كما قال تعالى : ( فامشوا في مناكبها

وكلوا من رزقه (١) ) ٠٠ ان أهل العلم ، ممن لا مال لهم ، لما قصرُوا جِسل افكارهم على العلم ، أفيض عليهم ، كما ان من لا علم عندهم ، من أهل الفنى ، لما سعوا فى تحصيل المال ، أفيض عليهم ٠٠ نعم ٠٠ قد يرزق القاعد ، ويحرم الساعى ، لأسباب قد تعلم وقد لا تعلم ٠٠ الا ان كلامنا فى العموميات والكليات ، لا فى الخصوصيات والجزئيات ٠٠ فحق كل فريق من هذين الفريقين ، ان أسف على حرمانه مما عند الآخر ، ألا يوجه اللوم الا على نفسه ويرحم الله من يقول :

وعاجز الراى مضىاع لفرسته حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

— أراك قد سقت الكلام الى حد أردت به توجيه الملامة على ، وانهامى بالتقصير فى الطلب ، وان مانحن فيه من قلة المال وضيق الحال انما هو من تقصيرى فى الاخذ بالاسباب ! ٠٠

— ينبىء الا يكون فى ذلك ارتياب ! ٠٠ وهانت قد حصلت من العلم ما تفقت به آمالك ، ووصلت فيه مالم يصل امثالك ، وانت الآن فى صحة من جسمك ، وقوة من عقلك ٠٠ فماذا عليك لو اخلت لنا فيما يكون فيه حسن الحال وراحة البال من الرزق الحلال ؟ فتخلص أنت وعيالك من ضيق المعيشة ٠٠ واقامت فى الارياف ، على أى حالة ، احسن ، لان النفقة هناك أقل ، والمؤنة ايسر ، والهواء أنقى واحسن ، والصحة اكمل ٠ ومسع ذلك ينتفع منك أهل البلد بتعليمك لهم أمر دينهم ، وتنتفع منهم أنت بما تستعين به على أمور المعيشة ٠٠

— أنا لم أترك تعليم العلم من حين وجدت فى نفسى القدرة على ذلك ! ، فانى مواظب على التدريس فى الجامع الازهر لطلبة العلم ٠

— ان احتياج أهل الريف للتعلم أكثر ، وليس فيهم مثلك يعلمهم ، واما طلبة العلم فى الازهر فانهم يجتهدون كثيرا من العلماء يعلمونهم ٠٠ فاهل الريف أحوج اليك وأولى بك ٠

— لو علمت حال أهل الارياف ، وما هم عليه من الظلم والاحجاف ، لما رغبت فيه ، ولا رضيت به ! ٠٠ والعلم يزيد بالممارسة ، وينقص بعملمها ، فمع من تكون الممارسة ؟

— ان ما ذكرته من سوء حال أهل الريف هو حجة لى عليك ، لا لك على ، فهم اذا أحوج الى مثلك ، يقوم بتعليمهم وتفهمهم ، ان تعليمك المحتاجين

أكثر ثوابا مما أراك تقضى فيه عمرك وتشغل به أوقاتك ، من البحث والجدل ؛  
والقليل والقال ! والجواب والسؤال ! والحل والإشكال ! واعترض !  
واجيب . وفيه نظر . ويرد عليه . وقد يقال . ولا يقال . ونحو ذلك مما انت  
عائف عليه ومنهمك فيه ومقتصر على تعليمه لجماعة من الناس فى موضع  
معين من الجامع الأزهر لا تتجاوز ولا تتخطاه الى غيره ، كأنما جاء التنزيل  
والنص القاطع بأن العلم لا يتجاوز ذلك الموضع من ذلك الجامع ؟! .. أنك  
ترى كثيرا من جيراننا جهلاء بكثير من الامور الضرورية لهم فى دينهم .. ولا  
نجد من يعلمهم .. وتراهم على هذه الحال ولا تبالي بامرهم ، وهم جيرانك  
وأخوانك ، وأنت تعلم أنه لو قصد أحدهم الأزهر ، على الفرض والتقدير ،  
ووقف على دروس العلماء فيه ، فإنه لا يعقل مايقولون ، ولا ينتفع بما  
يقرون ، فإنهم يتكلمون بما لا يفهمه من الالفاظ الاصطلاحية .. ! .. لقد  
سال عيسى رجلا : ما تصنع ؟ قال : أتعبد .. قال : من يعولك ؟ قال : أخى  
.. قال أخوك أعبد منك ؟! وقال عمر : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ،  
ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتهم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ! ..  
وكان الصحابة يتجرون فى البر والبحر ، ويفرسون ويعملون فى نخلهم ..  
فما هذا التقاعد والتقاعد عن الكسب والسعى فى طلب الرزق ؟! .. ومالك  
لا توسع على عيالك ؟! .. ومال أراك تصرف جميع أوقاتك فى المطالعة  
والبطالة ؟! .. وهلا قسمت وقتك قسمين ، قسم تصرفه فى العلم والعبادة ،  
والقسم الآخر فى طلب الرزق ؟! .. أن الدنيا دار تعب ، فكيف ترجو الراحة  
فيها ؟! .. والغنى نعمة من الله .. ولن يكون سببا لدم صاحبه وصرف  
النظر عنه .. وللبطالة هى المؤدية الى الفقر ، الموجبة للدلة والمسكنة طول  
العمر .. أن الغنى ، وإن كان قد يؤدى الى بعض المفرات ، لكن نفعه أكثر  
من ضرره !

هكذا .. وعلى هذا النحو أدار على مبارك حوارا بين « علم الدين » وبين  
« زوجته » فى الرواية .. فكان علم الدين نموذجا لفكر المجتمع الاقطاعى  
وقيم المصور الوسطى ، على حين كانت زوجته الصورة الجديدة لفكر المجتمع  
الحديث .. فانتصرت لقيمة « العمل » ، وفضيلة « السعى » فى سبيل  
الغنى المشروع .. وأبرزت ميزة العلم النافع ، وغضت من شأن « الحكايات  
والمحاكات » اللفظية التى وقف عندها شيوخ الأزهر تحت أعمدة مسجده

وكان على مبارك ، بذلك ، ينتصر للقيم الاجتماعية الجديدة لمجتمع ما بعد  
مجتمع الاقطاع ..

## ● الثقافة والحضارة ●

بقلم : الكساندرو تاناس

تعريف الثقافة ، مثل « الطبيعية » و « الانسان » و « المجتمع » ، وفي الوقت ذاته يحلل بصورة انتقادية مختلف الاتجاهات وحيدة الجانب ، الانتقائية أو التعصبية ، في تاريخ الفكر الفلسفي والعلمي . وثمة في هذا الفصل ايضا ، مكان بارز لتحليل الترابط بين الثقافة وبعض المفاهيم ، مثل « القيمة » ، « الحقيقة » ، « الابداع » ، « الممارسة » ، « الاعلام » ، « التواصل » ، « التوزيع » وذلك لان هذا التحليل ضروري للتوضيح الشامل لمفهوم الثقافة .

وفي الفصل الثاني يكرس المؤلف لنتيجه لسالة هامة للغة ، وهي في الوقت نفسه واحدة من اكثر قضايا الفكر المعاصر إثارة للجدل - مسألة العلاقة المتبادلة بين الثقافة والحضارة . فمن المعروف أن كثيرا من المنظرين ، ومن بينهم منظرين يعتبرون حججا في هذا المجال ، قد دافعوا عن وجهة النظر الميتافيزيقية حول التناقض المستعصى بين المفهومين المذكورين . وعندما يعالج المؤلف المعايير الاجتماعية الاقتصادية ، والتكنيكية ، والثقافية - الانثروبولوجية ، والروحية لتعريف مفهوم « الحضارة » ،

يأتي كتاب « الثقافة والحضارة » تعبيراً عن اهتمام مالفه الدائم بدراسة وتطوير الفرع الجديد نسبيا من فروع الفلسفة - فلسفة الثقافة . وبينما كان تاناس في أعماله الأخرى التي نشرت في السنوات العشر الأخيرة ، وهي : مقدمة في فلسفة الثقافة ، والثقافة والنزعة الإنسانية ، والثقافة الاشتراكية في رومانيا ، والحضارة الاشتراكية وقيمتها - يعالج الجوانب الفلسفية والجوانب المتصلة بفلم الثقافة لهذين المفهومين ، من زاوية الانسانية الاشتراكية ، فإنه يحاول في كتابه الجديد تطوير مفهوم فلسفة الثقافة ، والنقطة المركزية لعمله هي المفهومان الأساسيان : الثقافة والحضارة . ويتناول في فصول كتابه الثلاثة القضايا المرتبطة بهما .

في الفصل الاول يحلل ١٠ تاناس مسألة تعريف مصطلح « الثقافة » الذي تباين حوله الآراء كثيرا . فوضح انه يرى في الثقافة واقعا ذا علاقة بالإنبرك والقيم والإبداع والتواصل ( انظر ص ٢٢ ) . وفي هذا الصدد يتناول المؤلف عددا من المصطلحات الأساسية ، التي يرتبط بها

والإصلاح - قضايا الإدارة والتنظيم ،  
بولونا ، سوسيدانديريس الموليوي ، ١٩٧٦ ،  
١٣٥ ص .

مع استمرار الجسد حول « حرية  
الصحافة » و « للعبد في الإعلام »  
و « استقلال الصحافة » وما إلى ذلك يترسخ  
اهتمام الرأي العام في كثير من البلدان  
بشكل متزايد على وسائل الإعلام في  
المجتمع الميرجوازي ونشاطها اليومي .

وفي ثلاث كتب صدرت في فرنسا وإيطاليا  
يستند عدد من الصحفيين والباحثين وعمل  
المطابع من مختلف الآراء السياسية إلى  
الوقائع وإلى خبرتهم الذاتية كي يصوروا  
الوضع الحالي لوسائل الإعلام في بلادهم .

ويبحث مؤلفو الكتاب الإيطالي « الصحافة  
اليومية بين الأزمة والإصلاح » وهم فريق  
من الباحثين في قسم القانون في جامعة  
فلورنسا ، القضايا الرئيسية التي تواجه  
الصحافة اليومية الميرجوازية . وأيا كانت  
القضية التي يدرسونها فإن مؤلفي الكتاب  
يعودون إلى مسألة دمج الصحف . وهم  
يقولون أن تركيز وسائل الإعلام في أيدي  
خاصة أو في أيدي الاحتكارات أو منظمات  
تديرها الدولة لا يؤثر على كل عمل  
هبات التحرير والطابعين والناشرين في  
الانقطار الرأسمالية فحسب ، وإنما يؤثر  
تأثيرا ضارا على كثير من جوانب الحياة  
في المجتمع الميرجوازي . ويشير الكتاب  
إلى المستوى الهائل لتركيز الصحف ويقول  
أنه من بين ٨٠ صحيفة مسجلة رسميا في  
إيطاليا مثلا تمثل ٧٠ صحيفة ٧٠٪ من  
التوزيع . الجزء الأكبر من هذه المطبوعات  
في أيدي أربعة مجموعات خاصة كبيرة  
ومجموعتين تملكهما الدولة . ويقول  
الصحفي الفرنسي نيكولاي بريمو في ملف  
هيرسانت أن ٢٠٪ من الصحف الوطنية في  
فرنسا يسيطر عليها فعلا رجل واحد هو  
روبرت هيرسانت السدتي أطلق عليه  
الصحفيون لقب « شيرلجر فرنسا » .  
وبعبارة أخرى ، فإن صناعة النشر - كجزء  
من الإنتاج الرأسمالي - تخضع لقوانين  
الرأسمالية ، يقول كتاب « الصحافة اليومية  
بين الأزمة والإصلاح » : « وفي هذه  
الظروف فإن الملاحظات عن التعدد لا يمكن

لأنه يحذر من خطر التناول الإثنوجرافي  
أو التاريخي الضيق لمسألة الحضارة ،  
ويؤكد أن التفسير الماركسي للعلاقة بين  
الثقافة والحضارة لا يجمعه جامع بالتفسير  
وحيد الجانب المستند إلى المثالية أو المادية  
الميكانيكية - فالثقافة والحضارة ، كما  
يقول آ. تاناس ، هما مفهومان متلازمان  
من حيث المحتوى إلى حد كبير ، إلا أنهما  
ليسا متماثلين ( انظر ص ١٤٥ ) . وفي  
رده على من يقولون بوجود تضاد بين  
الثقافة والحضارة ، يبين المؤلف مستعينا  
بأساليب الجدل المادي ، أن الحضارة  
ليست سوى الثقافة في الفعل ، ليست  
سوى جماع القيم الثقافية التي تقوم وظائف  
اجتماعية محددة .

ولعل الفصل الثالث للكتاب ، الذي هو  
قوع من التاريخ المختصر للفكر الثقافي .  
يضع في الاعتبار الخصوصيات السباسبية  
والثقافية لحياة وتاريخ الشعب الروماني ،  
لعله الأعلى بين مؤلفات آ. تاناس ، التي  
يعالج فيها مسألة الطريقة التي يفسر بها  
الفكر الروماني قضايا الثقافة والحضارة  
ويركز المؤلف على أهم جوانب هذه المسألة ،  
والتي استمرت في الماضي وتستمر في اليوم  
انتقاء المفكرين والفلاسفة الرومانيين .

وفي خاتمة هذه الدراسة يبحث المؤلف ،  
مصورة مفصلة ومقنعة ، في العلاقات بين  
الثقافة الاشتراكية و « نوعية الحياة » ، ثم  
يدعم بالحجج الرأي المتفائل القائل بأنه  
سوف يتم تداخل تدريجي بين الثقافة  
والحضارة ، كما يلمس ذلك في « نوعية  
الحياة » الأخذة في الظهور في المجتمع  
الاشتراكي .

#### أبيلا بيكلانو إيانكو

● نيكولاي بريمو بالقيساون مع أن  
جويرين ، « ملف هيرسانت » ، باريس ،  
فرانسوا ماسبيرو ، ١٩٧٧ - ١٢٩ ص .

● « قتلة أموري » السيطرة على  
الصحافة ، ملف عمال « باريزيان لير » ،  
باريس ، المنشورات الاجتماعية ، ١٩٧٦ ،  
٣٥ ص .

● « الصحافة اليومية بين الأزمة



توضيحا جيدا كتاب نيكولا بريمو الذي يصف الأساليب التي استخدمها الفرنسي هيرسانت طيلة ثلاثين عاما من عمله الصحفي . لقد كان رجل الأعمال هذا متعاوناً مع النازي أثناء الحرب العالمية الثانية وأظمت عملياً من العقاب وهو شريك في كثير من الصفقات الربوية . وقد رفعت عليه كثير من الدعاوى بسبب فضائح صحيفة « لواتو جورنال » وبسرقة الأسرار الفنية من شركة ستروين لكنه أظمت منها دائماً بفضل حمايته غير المرئيين ، وفوق أمواج من الحرب الباردة أصبح مالكاً لمصحف مثل الفيجارو وفرنس سوار ، وهو يسيطر الآن على خمس الصحف الفرنسية . . . وفي عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦ دخل في نزاع صاحب طويل مع هيئة تحرير باريس - نورماندى والفيجارو . ورد هيرسانت بإغلاق واسع ، وعبارته المفضلة هي « المال أفضل من الشرف » . وحين يبلى أحد بملاحظة عن أسلوبه يرد قائلاً : « هذه ظاهرة طبيعية من ظواهر الديمقراطية » . ويبين الكتاب أن سيطرة رجل واحد على الصحافة هي القاعدة وليس الاستثناء . وعلى سبيل المثال يورد مؤلفو الكتاب الإيطالي معطيات إحصائية توضح أن ٦٠٪ من العاملين في الصحف ودور النشر أقارب أو أصدقاء لرؤساء التحرير أو الناشئين أو المالكين . وهم يقولون « أن الخداع والتسلط والامتنان تقود إلى مزيد من الخداع والتسلط والامتنان » . و « يلوح بإبراء حرية الإعلام مستقاراً للمصالح التي تدفع النظام الاقتصادي للصحافة اليومية موضوعياً إلى اتجاه مختلف تماماً » .

ولابد لثل هذا الوضع أن يثير احتجاجاً قوياً من جانب القوى التقدمية ، وهي تبث في كثير من البلدان الرأسمالية عن الوسيلة لأكبح سياسة وسائل اعلام جديدة وتقترح اصلاحات جذرية . واكثر من ينقش في هذه الحملة هم الأحزاب الشيوعية والنقابات . وتضرب الصحف الشيوعية المثل إذ تبقى مستقلة حقاً عن رأس المال الكبير .

وفي بعض الأحيان يصبح النضال من أجل سياسة جديدة في وسائل الاعلام بالغ

طبعاً أن تكفل الوضع الحالي في الصحافة اليومية ولا ، على الأقل ، أن توقف المزيد من التركيز » .

ويحكم رأس المال المالي والاحتكارات قبضتهم على وسائل الاعلام البرجوازية وجهاز الدعاية . وفي الوقت نفسه تهيأ وسائل الاعلام كي تلائم مصالح رأسمالية الدولة الاحتكارية عن طريق تدخل الدولة في سير العمل في الصحافة ، وعلى سبيل المثال فقد طبقت في كثير من الحالات تشريعاً خاصاً يقيد النشاط الصحفي ( ويحل كتاب « الصحافة اليومية بين الأزمات والاصلاح » مثل هذا التشريع في إيطاليا ) . وهكذا فإن الرقابة المزدوجة ، السياسية والاقتصادية ، التي تمارسها الاحتكارات والدولة سمة هامة من سمات وسائل الاعلام اليوم .

ويستخدم الميكانيزم لهذه الرقابة الإعلان استخداماً واسعاً . أما أسلوب هذه الرقابة الاول فهو الإعلان . ( ففي إيطاليا يبلغ دخل الاعلانات الذي تحصل عليه الصحف في المتوسط ٥٠٪ من كل الربح . ويتراوح الرقم في العالم الرأسمالي بمجموعه بين ٦٠٪ و ٧٠٪ ) .

ويصف مؤلفو كتاب الإعلان بأنه « عنصر خطر لتحديد نشاط الصحافة » ، فهو يساعد على خلق « القفزات في التوزيع التي تزيد قدرة القوى ، وتحطم الضعف عاجلاً أم آجلاً ، وفضلاً عن هذا فإن « سياسة خاصة تطبق على صحف معينة » .

ويقول الكتاب ان نفوذ مختلف الشركات، ملك ورق الطباعة ووكالات الأنباء الكبيرة وشركات توزيع المطبوعات ، هو من أدوات الضغط الأخرى . ويضاعف ذلك الضغط على وسائل الاعلام مما يؤدي إلى توحيد الرأي الذي يصفه الكتاب بأنه وضغ مرضى .

وترتبط القبضة المالية والاقتصادية على وسائل الاعلام ارتباطاً وثيقاً بالسيطرة السياسية المباشرة ، فكلينسوا ما لا يتورع أصحاب وسائل النشر الكبيرة عن شيء في سبيل غرس أفكارهم ، ويوضح هذا

والطالبا بإعادة رفاقهم المصولين وانتهاء اضطهاد المبتولين التقايين ، ونغيير معدات الطباعة العتيقة ، وفرض الرقابة على قواعد المالك العسفية ، وحظر نشر المواد الرجعية . وازداد النزاع حدة وزاد ما يحظى به المضربون كما أكدوا هم أنفسهم ، من تأييد كل كاتشي فرنسا ، ولقى الأحزاب الوطني تضامنا مع « باريزيان لير » نجاحا كاملا .

واستمر النزاع أكثر من عشرين شهرا . ويعد صدور هذا الكتاب استدعيت تعزيزات بولسية لمساعدة المالك . واقتحمت الشرطة المسلحة الطباعة وطردت المضربين ، ولا شك في أن هذا يؤكد ما كتبه الصحفيون عمال الطباعة في صحيفة « باريزيان لير » عزائه « مازال علينا أن ننزع حرية الصحافة » .

الحدة . ولناخذ على سبيل المثال عمل هيئة تحرير صحيفة « باريزيان لير » الذي يصفه كتاب « قلعة أموري » وصفا حيا . ويستحق هذا الكتاب مزيدا من التعليق التفصيلي وقد استعان مؤلفوه ، صحفيون وعمال طباعة

وغيرهم من العاملين ، في كتابتهم في دار نشر الحزب الشيوعي لمتنسورات الاجتماعية . ويصف الكتاب نزاعا من أطول النزاعات العمالية في فرنسا في السنوات الأخيرة . فقد رفض أموري مالك « باريزيان لير » ، في انتهاك صريح لقوانين العمل ، رفض صراحة أن يتفاوض

مع الصحفيين وعمال الطباعة الذين احتجوا على تخفيض الإنتاج وعمليات الفصل الواسعة . ورد الصحفيون وعمال الطباعة باحتلال مطبعة « باريزيان لير »



حسب الطلب « صعود أوتزول »  
عن بيلر سيمباغوسن تايغر « الولايات المتحدة »

# أحداث الشهر

## ● في الفن والثقافة ●

- سـيـنـمـا المـخـرـجـات المـعـرـب . . . . .
- الرقص الشعبي لغة عالمية . . . . .

## ● شريط الأنباء ●

- الحملة ضد الانفراج تزداد شراسة . . . . .
- النفط والاحتكارات وأزمة الدولار . . . . .
- قبضة ماولد الصحافة . . . . .

# سيف المخرجات العرب

بقلم : سمير فريد

الافلام التسجيلية مخرجتين مصريتين هما عطيات الابنوى ومنى مجاهد ، وشهدت السنوات من ١٩٧٤ الى ١٩٧٨ ظهور أربع مخرجات من لبنان ومخرجتين من الجزائر في ميدان الافلام التسجيلية أيضا .

في عام ١٩٧٤ أخرجت هيني سرور « دقت ساعة التحرير » . يره يا استعمار » ، وفي عام ١٩٧٦ أخرجت جوسلين صعب « لبنان في اللوامة » ، وفي عام ١٩٧٧ أخرجت نبيهة لطفي « لان الجذور لن تمسوت » وفي عام ١٩٧٨ أخرجت رائدة شهاب « خطوة .. خطوة » ، وكلهن لبنانيات . وفي عام ١٩٧٧ أخرجت الجزائرية فايزة بن سعد « تقرير المصير » ، وفي عام ١٩٧٨ أخرجت الجزائرية آسيا جبار « نوبة نساء جبل شنوه » .

كانت علاقة المرأة العربية بالسينما حتى السنوات الاولى من السبعينات قاصرة على الولوج امام الكاميرا كممثلة ، وذلك على الرغم من ان السينما المصرية - وهي أعرق وأكبر سينما عربية - بدأت على ايدي النساء في العشرينات والثلاثينات مثل عزيزة أمير وبهيجة حافظ وفاطمة رشدي وآسيا وماري كويني كمنتجات ومخرجات وليس فقط كممثلات . فقد أخرجت كل من عزيزة أمير وبهيجة حافظ فيلمين . وأخرجت فاطمة رشدي فيلما .

ومنذ ذلك الحين لم تلق امرأة مصرية وراء الكاميرا تخرج فيلما الا المشلة المعروفة ماجده عام ١٩٦٦ ، وكان هذا الفيلم اقتباسا من الفيلم الامريكي « ذهب مع الريح » بعنوان « من أحب » . وفي السنوات الاخيرة ظهر في ميدان



### ● جوسلين صعب النساء التصوير ●

وتغيير واقع السينما العربية .

وعلى العكس من الكثير من نساء الادب العربي نجد نساء السينما العربية لا يتناولن موضوع علاقة الرجل بالمرأة ، فالواقع أن الانشغال بتناول هذا الموضوع انما يمسك استبعاد الرجل للمرأة حتى وهي تدعى التحرر من هذا الاستبعاد . تماما كالمخرج الافريقى الذى يشغل بهلالة الافريقى بالادبى او العكس . ويوم ما قال بول روبسون اننا نرفض فى الفلام هوليوود الزنى الشيطان والزنى الملاك أيضا . ونفس المنطق ينطبق على شخصية المرأة فهي ليست ملاكا ولا شيطانا وانما هي انسان فى مجتمع .

### ● وقت ساعة التحرير :

يعتبر فيلم « دقت ساعة التحرير » برة يا استعمار » ، وهو اول فيلم كخرجه مبنى

واللاحظ عن هذه الافلام الستة انها الافلام سياسية راديكالية ، بكل معنى الكلمة . فقد اخرجت افلامهم جوسلين صعب ونبيهة لطفي ورائدة شمال فيلما عن الحرب الاهلية فى لبنان ، وبينما تناولت فايزة بن سعد فى فيلمها قضية تقرير المصير فى الوطن العربى وأفريقيا ، تناولت آسيا جبار فى فيلمها قضية المرأة الجزائرية . بل لقد صوّدت كل من هينى سرور وجوسلين صعب ورائدة شمال وسط الفصف ، وانتقلت جوسلين من تصوير الحرب فى لبنان الى تصوير الحروب فى الصحراء العربية .

وهذه النزعة الى تناول موضوعات سياسية، والتعبير عن موقف راديكالى من هذه الموضوعات، والتعرض لخطر الاصابة ، بل والموت بتصوير المعارك الحربية ، دليل على أن المخرجات الست الدوائى ظهروا فى السنوات الاربع الاخيرة لم يدخلن ميدان الاخراج السينمائى الاضافة المزيد من الافلام التجارية ، وانما للمساعدة فى تطوير

سرور ، أول فيلم تسجيلي في العالم عن ثورة الخليج العربي .

وقد استطاعت هيني سرور بهذا الفيلم ان تكسر الحصار الاعلامي القريب حول هذه الثورة مستغمة كل وسائل السبيلنا التسجيلية من اللقطات الوثائقية الى الصور الفوتوغرافية ، ومن التعليق الى الحوار الى الكتابة على الشاشة . وعلى الرغم من فقر المواد ، وصعوبة الحصول على المواد الافضل من هنا وهناك ، الا ان مخرجتنا نجحت في ان تقدم فيلما جيدا يعطى فكرة واضحة عن ما يحدث في هذه المنطقة الهامة من العالم .

ويكتشف الفيلم الذي يستمد عنوانه من مطلع أغنية الخنى عدني عن دور الاستعمار البريطاني في تخلف المنطقة ، ثم دور الاستعمار الأمريكي الذي يحاول ان يرث الاستعمار البريطاني بأشكال أخرى ، كما يكشف عن دور الثورة التي بدأت ضد الاستعمار ، وضد الرجعية المتصاعدة مع المجازات من الصحة والتعليم ، الى الزراعة والتجارة . ثم كيف استطاعت الثورة ان تخلق امرأة جديدة في الخليج تمسك بالسلاح وتحرر وطنها بالبنف .

وبالطبع فان هذا الفيلم مثل كل الافلام الستة الاخرى ربما باستثناء فيلم آسيا جبار لا يمكن تقييم موقفه من الموضوع الذي يتناوله الا في وقت انتاجه ، فهي افلام - مقالات او منشورات سياسية لها اهداف آتية محسنة ومعصودة ، وليس هذا عيب في اي منها ، ولا فضل . انها افلام تتحول الى وثائق ويبرود وفق انتاجها تتحول الى تاريخ .

## ● لبنان في الدوامة :

يعتبر فيلم « لبنان في الدوامة » اخراج جوسلين صعب أول فيلم تسجيلي عن الحرب الأهلية في لبنان . وقد عرض في مهرجان فلسطين الدولي الثاني للافلام وبرامج فلسطين عام ١٩٧٦ حيث فاز بجائزة اتحاد نقاد السينما العرب .

ولم يكن هذا الفيلم هو أول افلام مخرجته . فقد اخرجت عام ١٩٧٤ فيلما عن ثورة ليبيا ، كما اخرجت فيلما عن احتلال الجولان ، وآخر عن قضية الاكراد في شمال العراق ، وثلاثة افلام عن الثورة الفلسطينية عى « الفلسطينيين يتابعون » ، و « المنحسرون » و « المرأة الفلسطينية » .

وبعد ، لبنان في الدوامة » اخرجت جوسلين صعب ه افلام اخرى عن الحرب اللبنانية هي « صليبيون للشرق الاوسط » و « بيروت لم تعد ابدا » و « اطفال الحرب » و « جنوب لبنان قصة ضعيفة محاصرة » و « حديث مع ريمون اده » . واخيرا صورت فيلما عن مشكلة الصحراء العربية بعنوان «الصحراء لاتباع» .

وهكذا نجد ان جوسلين صعب هي الوحيدة من بين كل السينمائيين العرب رجلا ونساء التي تحركت بكاميرتها الى مواقع الاحداث الهامة على صعيد الوطن العربي كله من العراق الى الغرب مرورا بصرى وموريا ولبنان وليبيا . انها تريد ان تكون في عصرها ، وتريد لافلامها ان تكون شهادات عن هذا العصر . وهذا النموذج من السينمائيين التسجيليين - نموذج يوريس ايفانس ورومان كارمن - هو ما كانت تفتقده السينما التسجيلية العربية دائما . وهي مثل زميلاتها من لبنان تنتج افلامها بنفسها بالتعاون مع الهيئات والمؤسسات المختلفة .

وتعرض جوسلين صعب في « لبنان في الدوامة » وجهات نظر كل اطراف الصراع ، لا لكي تهرب من اتخاذ موقف ، او لكي تدعي الحياد حيث لا مجال لمثل هذا الادعاء ، وانما لكي تتيح للمتلقي اتخاذ موقفه دون تصف ، ولكي يكون لديها في نفس الوقت وثائق شاملة عن الموضوع الذي تتناوله لا تصلح فقط للتعبير الآتي ، وانما للدراسات الشاملة في المستقبل ايضا . وهذا المنهج هو الذي اتبعته في اغلب الافلام التي اخرجتها عن المشاكل الساخنة .

## ● لان الجذور لن تموت

بدأت نبهة لطفي حياتها الفنية قبل هيني سرور وجوسلين صعب ورائده شهاب . فقصـد



### ● فيلم : خطوة .. خطوة ●

والى أى مدى يتجرد من الآدمية فى سبيل تحقيق أهدافه .

ويركز الفيلم على المرأة الفلسطينية ودورها أثناء المذبحة ، وبعدها من خلال الحديث مع مجموعة من نساء تل الزعتر الباقيات على قيد الحياة .

بدأت رائدة شغال العمل فى أول اللامها « خطوة .. خطوة » فى فبراير عام ١٩٧٦ ، وأتمته فى مارس ١٩٧٨ . وهو مثل أفلام زميلاتها فيلم تسجيلي طويل مصور على مقاس ١٦ م .

ويمتاز فيلم « خطوة .. خطوة » عن غيره من أفلام الحرب اللبنانية بمحاولته تحليل العلاقة بين الصراع الطبقي فى لبنان وبين الثورة الفلسطينية ، والربط بين ما يحدث فى لبنان ، وبين ما يحدث فى الوطن العربى . هذا فضلا عن التواريخ الدقيق للحرب منذ بدايتها إلى دخول القوات السودية فى يونيو ١٩٧٦ ، واغتيال كمال جنبلاط فى مارس ١٩٧٧ .

درست فى المعهد العالى للسينما بالقاهرة وأخرجت فى مركز الأفلام التجريبية فيلما قصيرا بعنوان « صلاة » عام ١٩٧٢ . ولكن نبهته طفلى ولدت من جديد مع بداية الحرب الأهلية فى وطنها الأصل ، ومن خلال الفيلم الذى أخرجه عن مذبحة تل الزعتر بعنوان « لأن العذور كن تموت » أو « قصة ما حدث فى تل الزعتر » .

بدأت نبهته طفلى تصوير هذا الفيلم فى أغسطس عام ١٩٧٥ كفيلم عن المرأة الفلسطينية العاملة حيث صوت أغلب المادة فى مخيم تل الزعتر ، فلما أبعد المخيم بعد أن تعرض لأكبر وأشد معارك الحسروب اللبنانية ، غيرت الموضوع إلى « قصة ما حدث فى تل الزعتر » . واستكملت التصوير على هذا الأساس .

ويتميز فيلم « لأن العذور كن تموت » من بين كل الأفلام التى تناولت مذبحة تل الزعتر بالمسافة العميقة ، والاحساس الإنسانى ، دون محاولة استندار الدموع ، أو الأداة الشفقة ، وإنما إيظاف الوعى على حقيقة البعين الفاضى ،



### ● فيلم الصحراء لا تباع ● كل ثورة من الثورات .

### ● نوبة نساء جبل شنوه :

يعتبر آسيا جبار من أعلام الأدب الجزائري المعاصر برواياتها المصروفة منذ منتصف الخمسينات ، ولكن « نوبة نساء جبل شنوه » هو أول أفلامها ، وهو من إنتاج التلفزيون الجزائري أيضا . ويمزج الفيلم بين نهج السينما الروائية والسينما التسجيلية ، ليعتمد على تصوير شخصيات حقيقية في أماكن حقيقية ، ولكن في إطار قصة درامية . ولأنني لم أشاهد الفيلم حتى الآن اكتملي بحديث مفرجه عنه . تقول آسيا جبار في حديث مع الناقد وليد شميح « الفيلم يطرح مشكلة بطلته ليل في هذا الشكل : امرأة وحدها ، تتحرل بمفردها ، تنظر بعين ، تطرح نظرة خصبة على غيرها من النساء . وليل التي تتجول بين نساء جبل شنوه بحثا عن الماضي ، إنما هي تواجه الحاضر ، وتواجه الذات ، وتواجه الآخر . »

وتقول آسيا جبار « إن نوبة النساء تعني حكاية النساء اليومية ولكن النوبة أيضا نوع من السجقونية في الموسيقى الكلاسيكية المسماة أندلسية بعزاتها الإيقاعية المحددة » .

ويعتمد الفيلم مثل الأفلام الأخرى على مختلف وسائل السينما التسجيلية من وثائق وأحداث وكتابات ولقطات حية ، ولكنه مثل كل هذه الأفلام أيضا يقتد إلى الأسلوب الخاص الذي يتميز به ، إذ أن ما يفرق بين هذه الأفلام هو أساسا المواقف السياسية لصاحبها . صحيح أن هذه المواقف تنعكس على الأسلوب لارتباطه بمنهج التحليل ، ويمدق فهم هذا المنهج وإدراكه ، ولكن الوصول إلى أسلوب خاص يرتبط بالنضج الكامل ، والرؤية الشاملة ، وهو أمر ليس بالبعيد عن مخرجاتنا على أية حال كما يبدو بوضوح من أفلامهم الأولى .

### ● تقرير المصير :

تناولنا جائزة بن سعد في فيلمها التسجيل القصير « تقرير المصير » الذي أنتجه التلفزيون الجزائري ، وهو أول أفلامها ، قضية حق الشعب الفلسطيني .

ويربط الفيلم بين الثورة الفلسطينية وبين الثورات الأفريقية وثورات شعوب القارات الثلاث على نحو صحيح ، رغم أنه تجاهل الاختلافات الكبيرة بين قضية فلسطين والقضايا الأخرى مثلا ، ولم يوضح أيضا خصوصيات



# الرقص لغة علمية



معهد طشقند للرقص بجوائز المهرجان  
الذي للشباب والطلبة في موسكو • وكان  
هذا أول اعتراف بالفرقة الحديثة التكوين •  
ومنذ ذلك الوقت زاد عدد أفراد الفرقة حتى  
بلغ ٦٠ راقصا • وقد فازت فرقة باخور  
بعديد من الجوائز • ومؤسس الفرقة  
ومديرها الفني الدائم هي مكمرة  
تورجونباييفا ، الراقصة السابقة ، وفنانة  
الشعب السوفييتي والحائزة على كثير من  
جوائز الدولة • وحازت هذه الفرقة على  
شهرة واسعة في جميع أنحاء الاتحاد  
السوفييتي •

واستقبلت فرقة باخور للرقص بحماس  
في عدد من البلدان الأجنبية • وقد  
شاركت الفرقة في المهرجان العالمي الرابع  
للشباب والطلبة الذي عقد أخيراً في  
كوبا ١٩٧٩

استقبلت الجماهير في منغوليا بحماس  
بالفرقة باخور الأوزبكستانية لرقص  
عندما قدمت عروضها في مدينة دالان  
جاداجان في جنوب منغوليا • وقد قيمت  
الفرقة الأوزبكستانية بنجاح باهر رقصة  
منغولية •

وكان برنامج الفرقة أصيلاً ، وحياً ،  
ومتجديداً على الدوام • وتميز أداء أفرادها  
بالتكنيك المتقدم مما جعلها واحدة من أعظم  
الفرق الفنية في الاتحاد السوفييتي •

ويفضل فرقة باخور قدمت على المسرح  
أول مرة عشرات الرقصات الأوزبكية •  
ويتضمن برنامج الفرقة حوالي ١٣٠ رقصة  
لشعوب الاتحاد السوفييتي والبلدان  
الأجنبية •

منذ ٢١ عاماً مضت فاز ١٤ من خريجي

## الحملة ضد الانفراج تزداد شراسة

### رسالة وشنطن

ايشيغيت رئيس وزراء تركيا : « ان تركيا لا ترى أي تهديد يأتي من جانب الاتحاد السوفييتي » . وبعد ذلك بيومين على وجه الدقة أجبر مجلس حلف الاطلسي البلدان الاعضاء في حلف شمال الاطلسي على الموافقة على برنامج قياسي للانفاق على تحديث الاسلحة بتكلف حوالى ٨٠.٠٠٠ مليون دولار تحت ذريعة نفمة جديدة من نفس التهديد المزعوم .

والسناتور بارى جولد ووتر لم يتم أبدا بزيارة الاتحاد السوفييتي \* وهو لا يكثر على الإطلاق بهذا البلد الذي يبلغ عدد سكانه ٢٦٠ مليوناً ، وبالإسهام العظيم الذي قدمه لحضارة العالم ، بما في ذلك دوره في انقاذ الولايات المتحدة وبقيّة البشرية من خطر الفاشية الرهيبة ، ذلك الإسهام الذي كلفه ٢٠ مليوناً من أرواح ابنائه . وبما أنه سياسي ذو توجه محدود ، فإنه في حاجة الى تدريبات منتظمة في العداء للسوفييت تسمح لاسمه بأن يحتل المناوون الأوائل في الصحافة وفي الحقيقة فإن ذلك نوع من الدعاية يش

يغذئ النان من الامريكين مواقف تعتبر على طرفي نقيض . فاحدهما وهو السناتور جولدووتر يعتقد انه لا بد من مواصلة سباق التسلح ، بل والأفضل من ذلك ، الصودة الى أيام جون فوستر دالاس ، أي ، الى أيام تصعيد الحرب الباردة .. بينما يؤكد الآخر ، وهو السناتور جورج ماكجفرن انه ليست هنالك قضية في صهرنا الرأهن أكثر إلحاحاً من إبطاء سباق التسلح وبالتالي وضع حد نهائي له . وقال انه لا يشك لحظة واحدة في أن التسميع السوفييتي الذي فقد حشرين مليوناً من ابنائه في الحرب العالمية الثانية يرغب بإخلاص في إقامة سلام دائم على كوكبنا .

فمن هو المصيب منهما ؟ أو لربما يعيش اناس مختلفون في عوالم مختلفة - بعضهم يعيش في عالم الواقع والآخرون في عالم الأوهام ؟

وفي مشيية دورة مجلس حلف الاطلسي التي عقدت في أواخر مايو أكد بولنت

## شريط الأنباء .. شريط الأنباء

التاريخي في العلاقات الدولية . فمذ اتى عشرة عاما مضت عندما وصل الرئيس الفرنسي الراحل ديغول الى موسكو قال ان مئات الملايين من الناس يطلقون الامال على الحوار بين الشرق والغرب الذي بدأ حينذاك ، ولدى الاوروبيين كل الحق في ان يقولوا ان السنوات الاثني عشرة الماضية قد غرست فيهم ثقة اكبر في افق السلام عن العقود التي راهن فيها دالاس وجولدووتر على « الانتقام الشامل » و « دفع الشيوعية الى الخلف » ، الخ .

فما هي اسباب نجاح سياسة الانفراج ؟ انها تكمن في العمل الاول في حقيقة انه فتح امكانية التعايش بين النظامين الاجتماعيين كليس في شكل التخلي البسيط عن حافة الحرب ، وانما في شكل التعاون المتصور في المجالات المختلفة .

والثمن الذي ينبغي على الناس ان يدفعوه للعودة الى اوهام سياسة القوة وانسحب تماما على خلفية التطورات الاخيرة . لقد سبق ان قلنا ان برنامج اعادة التسلح الذي فرض على البلدان الاعضاء في حلف الاطلنطي سيجبرها على اتفاق موارد مساوية المدخل القومي السنوي لدولة متوسطة على هذه الاغراض . ونظرة اولى الى هذا البرنامج تسمح للمرء ان يرى بنوده التي يصعب ربطها بالاتفاق الجديد الذي للانفراج في المجال العسكري . وعلى عكس صانعي الاساطير في الغرب ، يبدو ان التصاعد الحقيقي للتهديد ينطلق من التحالفات السياسية العسكرية القريبة .

لقد حان الوقت لزعماء الحكومات والرأى العام في غرب أوروبا ان يدركوا انه من المستحيل مواصلة السماح لبعض الناس بان ينفذوا على النتائج الطبيعية التي تم التوصل اليها في المجال الدولي خلال السنوات الاخيرة . ان تصريحات غالسة زعماء أوروبا الغربية حول سياسة الانفراج لا تحوى أى انكار على الاطلاق لاهميته والضرورة الحيوية لواصلته .

التساؤلات ! بيد ان الجانب القبيح في تطلعاته يكمن في حقيقة انه يخاطب أناسا على راس الحكومة تفريهم الفرصة على ابداء « تسليم » في وقت يتفصح فيه ضعف الحكومة على الجبهة الداخلية .

ومثل هذا التشنج في تحالف مع « الصقور » ، لديه فرصة طيبة في ان تكسب قوة القصور الذاتي التي يصعب التغلب عليها ويتحول الى نهج سياسي خطر ودون ضابط لا يمكنه الا ان يشعير رد فعل مضاد في العالم .

وعلاوات رد الفعل المتصاعد هذا واضحة ، حتى في الولايات المتحدة نفسها . فقد عبر افريل هاريمان ، الدبلوماسي الأمريكي المخضرم ، وعضو وفد الولايات المتحدة في الدورة الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة حول نزع السلاح ، عن خلافه القسوى مع مخططات اعداء الانفراج . فقد قال ان هؤلاء الناس يشوشون عن عمد الرأى العام الأمريكي . فليس هناك شعوب في العالم يمكن ان يكون له مصلحة في المحافظة على السلام وابداء شبح الحرب النووية كالشعب السوفييتي ، الذي قدر له ان يتحمل كثيرا من التفضيعات والمحن في الحرب العالمية الثانية . وبشكل متميز عن بارى جولد وود ، يستقيم هاريمان ان يصدر حكمه على اساس الحقائق والآراء الموثوق بها . فقد كان سفير الولايات المتحدة في موسكو خلال سنوات الحرب الكثيفة ، وزار الاتحاد السوفييتي فيما بعد اكثر من مرة ، احتيم خلال بعضها بليونيد بريجنيف . ويود العقل سبحة طريفة خلال صرخات « الصقور » في ردهات البيت الابيض .

وفي وقت يستغرق فيه الأمريكيون في تحولات ذاتية مروا اى من التشنجات القوية الانفراج لم يفضى بها بعد الساسة ذوى البهل المعنوية ، من اهم الغاية للحكومات ودوائر الرأى العام في البلدان الاخيرة ، ان تملأ قصارى جهدها من أجل المحافظة على نتائج التحول

## شريط الأنباء .. شريط الأنباء

المقود الأخيرة . لكن لا يكتفى في هذه الظروف أن تقرر بالطائفة فحسب . لقد حان الوقت للاستفادة من هذه الثقة لبناء حاجز قوى في وجه محاولات تخريب رصيدنا المشترك .

وقد قال المستشار الألماني الغربي هيلموت شميت من على منصة الدورة الخاصة الأخيرة للجمعية العامة أن هناك الآن ثقة متبادلة أكبر في أوروبا بالمقارنة على أي وقت مضى في

## النفط والاحتكارات وأزمة الدولار

### رسالة روما

السنوات الخمس الماضية ٢٠ ٪ ، وبلغت مع بداية ١٩٧٨ حوالي ٤٠٠٠ مليون طن ، بما في ذلك الأسكا .

ولقد تخطت النتائج السلبية لمجسز الراسمالية الأمريكية عن حل مشكلة الوقود لدرجة بعيدة حدود الولايات المتحدة .

فالولايات المتحدة مضطرة لمواجهة المعجز في امدادات عن طريق زيادة واردات النفط وفي الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٧ ارتفعت واردات النفط ومشتقاته من ٢٢٥ مليون إلى حوالي ٤٢٠ مليون طن في السنة ، مع زيادة نصيب البترول في استهلاك الوقود السائل في البلاد إلى حوالي ٥٠ ٪ . وادى النمو السريع لهذه الواردات ، في ارتباطه بارتفاع أسعار النفط العالية نتيجة لانحصار نظام الاستثمار الجديد لامتيازات الدفيع للنفط ، إلى زيادة تكاليف الوقود المستورد في الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٧٢ - ١٩٧٧ ، من ٨٠٠ إلى ٤٠٠٠ مليون دولار في العام .

ونتيجة لعدم التزايد السريع بنفس النسبة لصادرات السلم لمواجهة نفقات النفط المستورد ، تدفع الولايات المتحدة دولارات مقابل القسم الأكبر من النفط المستورد .

غالباً ما يواجه الاقتصاد اليوم الراسمالية بصورة متزايدة بمهام لاستيعاب تطيقها . لقد مضت خمس سنوات تقريبا منذ أن واجهت الولايات المتحدة والبلدان الراسمالية الأخرى في خريف ١٩٧٢ أزمة نقص الوقود ، والتي صاحبها نمو في أسعار النفط ومشتقاته . وفي دولتي الحكومة الأمريكية ورجال الأعمال اتضح في ذلك الوقت أنه لا بد من اتخاذ تدابير حازمة للتعلم على أزمة الطاقة ولخلق وفرة في الوقود خلال عشر سنوات .

وانقضت حوالي نصف هذه الفترة ، ومع ذلك فإن صناعة إنتاج الطاقة في الولايات المتحدة لم تتميز فحسب عن ايجاد حل لازمة ، وإنما تطلعت كثيراً عن المستوى الذي سجلته في سنوات ما قبل الأزمة . فخلال السنوات الخمس الأخيرة انتجت البلاد من الوقود ما يقل ١٠ ٪ عن السنوات الخمس التي سبقتها ، ومعجزت بعض الزيادة في إنتاج الفحم التي سجلتها هذه السنوات عن توميض حتى نصف كمية المعجز في النفط والغاز . ورغم أنه يوجد في البلاد ، حسب الخبراء الأمريكيين ، ما بين ٢٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠ مليون طن من مصادر النفط الكامنة فقد انخفضت الإحتياطيات الموقعة خلال

## شريط الأنبياء .. شريط الأنبياء

معدل النمو التضخمى لأسعار المنتجات الصناعية الغربية . وفي عام ١٩٧٧ تقدر الخسارة المباشرة لبلدان الأوبك نتيجة لتوسع هوة الأسعار بحوالى ٥٠٠ مليون دولار - وهو مبلغ يفوق دخل الجزائر من مبيعات النفط .

وفي الوقت الذى تريد الاحتكارات الأمريكية من واردات النفط ، فقد حولته إلى أداة لابتزاز بلدان الأوبك . فالولايات المتحدة تريد بشكل خاص من مشتريات النفط ، وبالتالي من المدفوعات مقابلته ، من البلدان التى تنتج حكوماتها إلى التعاون مع السياسة الأمريكية وأنه على وجه التحديد من خلال هذا التنكيك للمشتريات الانتقالية يستطيع المرء أن يفسر زيادة صادرات بعض البلدان المنتجة للنفط خلال العامين الماضيين إلى أربعة أضعاف المقارنة مع بقية البلدان . ويهدف هذه السياسة إلى دعم هذه البلدان المنتجة للنفط والتي تتعاون على وجه الخصوص مع أهداف السياسة الأمريكية .

وتلدى واشنطن اعتماداً دائماً بتدعيم مواعها العسكرية الاستراتيجية في مناطق انتاج النفط الرئيسية في العالم الثالث . وخلال السنوات الخمس الأخيرة قدمت الولايات المتحدة ما قيمته حوالى ١٥٠٠ مليون دولار من الأسلحة الأمريكية إلى البلدان الصديقة المنتجة للنفط ، وفقاً لمعطيات صحيفة لومباتان الفرنسية .

إن محاولات التقلب على الأزمة الاقتصادية من خلال زيادة حدة استغلال الجماهير العاملة في الداخل ، ولقر مصالح شركائهم في التكتلات العسكرية والاقتصادية ، ومن خلال زيادة حدة النهب الاستعماري الجديد . كان ولا يزال سمة كاشفة للأمبريالية الأمريكية .

وهذه الدولارات التي لا يوجد عملياً ما يقابلها من السلع ، قد أصبحت واحداً من العوامل القوية التي تؤدي إلى زيادة عمق الأزمة الزمنية للنظام النقدي والمالي للرأسمالية . إن واردات النفط الأمريكية الحالية كان لها تأثيراً كبيراً على ميزان المدفوعات الأمريكي في العام الماضي . والذي زاد من ٢٠٠٠ مليون دولار ، وكانت هناك زيادة مماثلة في المجموع الكلي للنقد الأمريكي ، والذي لا يوجد سندا من السلع ، في أسواق المال الدولية وفي الخزائن الأجنبية . ونتيجة لذلك ، كما أعلن نظام الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي ، الذي يشرف على إصدار ودائع الدولارات ، أدت الشهور الستة التى سبقت مارس ١٩٧٨ إلى انخفاض قيمته حوالى ٧٦ في سعر تبادل الدولار بالنسبة للعملة الغربية الأخرى . وهذا الظرف يزيد الأسعار بالنسبة للسوق الأمريكية للسلع من البلدان الأخرى ، وبخاصة من بلدان غرب أوروبا واليابان ، ويخفض من قدرتها على المنافسة ويؤدي من حدة التناقضات التجسارية في منطقة الرأسمالية المتطورة

وسياسة الطاعة الأمريكية نصر فحراً بالفا البلدان النامية ، بما في ذلك البلدان الأعضاء في منظمة البلدان المصدرة للنفط «الأوبك» والتي تتلقى في الأساس دولارات أمريكية مقابل نفطها ، ومن المتوقع أن يؤدي تدهور سعر تبادل الدولار إكثوماتيكياً إلى خفض دخول بلدان الأوبك عام ١٩٧٨ بحوالى ١٢٠٠٠ مليون دولار على الأقل ، وهو ما يعادل خسارة هذه البلدان لحوالى ١٤٠ مليون طن من النفط - وهذا يعادل انتاج نيجيريا وإندونيسيا معاً من النفط في العام الماضي .

وخلال السنوات الثلاث الأخيرة تضلف نمو أسعار نفط بلدان الأوبك كثيراً عن



## شريط الأنباء .. شريط الأنباء

### قبضة ملوك الصحافة

#### رسالة نيويورك

خلى ، تشارك في حملة خبيثة حول انتهاكات مزعومة لحقوق الإنسان في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى . وتشارك الصحافة التي تملكها المجموعات الصحفية بنشاط كذلك في حملة تهدف إلى تخويف رجل الشارع الأمريكي بغرافات عن « التهديد العسكري السوفييتي »

وقد وصف معهد على كلاي الكلام الأمريكي الشهير ، الذي زار الاتحاد السوفييتي أخيراً نتائج عملية سميل الخ تلك ، فقال أن كثيراً من الناس في الولايات المتحدة يخشون من أن يهاجمهم الاتحاد السوفييتي . وكل معلوماتهم عن الاتحاد السوفييتي تركز على معلومات تقدمها لهم الصحافة الأمريكية .

إن التقارير التي تنشرها الصحافة الأمريكية في نفس الوقت حول هذا الموضوع ، وتهازل نفعتها « الماهرة » غير العادية بالأسرار والمنازل الحساسة المتعلقة بالأمن القومي الأمريكي . كل ذلك يوضح أن مثل هذه الحملات الدعائية تدار وتوجه من نفس الأذن الاحتكارية التي تخدم أهداف أعداء الانفراج .

أصدرت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قراراً يسمح لشركات الصحف الكبيرة بشراء محطات للإذاعة والتلفزيون . وأنشأة الاحتكار في وسائل الإعلام في الولايات المتحدة قد ساعدت بالفعل ١٧ مجموعة صحفية رئيسية في السيطرة على ٦٠٪ من الصحف اليومية في البلاد والتي يبلغ عددها ١٧٦٠ صحيفة . ومن الآن فصاعداً سيستمر هذا الاتجاه بخطاً أسرع .

وقد أكدت « يو اس نيوزاندويرلديربورت » الأسبوعية أخيراً أن الصحافة الأمريكية يزداد تركيزها في أيدي مجموعة ضيقة من الألاك وشكت من أن مجموعة صغيرة من « ملوك الصحافة » ستمارس تأثيراً ضخماً للغاية على الرأي العام . وقد تأخرت الجريدة دون شك في إعلان هذه الشكوى . فتسأله هذه المجموعة التي تحتفظ بصلات وثيقة مع التجمع الصناعي العسكري الأمريكي كبير منذ فترة بعيدة .

والدور الخطر الذي تلعبه الصحافة الاحتكارية أصبح واضحاً خاصة في الفترة الأخيرة . فغالبيت الصحف الأمريكية التي تتحرك مطيعة خلف حركات عصا ماسترو

# دائرة المعارف

## لجنة استتخدام الفضاء الخارجي للأغراض السلمية

هذه اللجنة جهاز من أجهزة الأمم المتحدة يشرف على نشاط مختلف الدول في استتشاف الفضاء الخارجي والتطوير المطرد للتعاون الدولي في هذا المجال . وتقوم اللجنة بتنسيق الجهود في استتشاف واستخدام الفضاء الخارجي بواسطة مختلف أجهزة الأمم المتحدة .

وقد اجتمعت هذه اللجنة في ١٢ ديسمبر ١٩٥٩ بناء على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة . وترجع فكرة انشاء اللجنة إلى الاتحاد السوفيتي الذي أرسل في مارس ١٩٥٩ إلى السكرتير العام للأمم المتحدة بعض المقترحات التي دعت بصيغة خاصة إلى « اقامة جهاز للأمم المتحدة للتعاون الدولي في استتشاف الفضاء الخارجي » .

وفي البداية حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٤ دولة كأعضاء في هذه اللجنة . وفيما بعد وسعت عضويتها مرتين : في ١٩٦٧ حتى ٢٨ دولة وفي ١٩٧٢ حتى ٣٧ دولة . وفي الوقت الحاضر تتكون هذه اللجنة من الاتحاد السوفيتي وبلغاريا والمجر والمانيا الديمقراطية ومنغوليا وبولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والهند وباكستان والارجنتين والبرازيل وبنجيسريا وكينيا واليابان والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا الغربية وكندا والسويد ودول أخرى .

ولجنتها الفرعية يوضع وتنسيق القواعد وإبادئ العامة للقانون الدولي للفضاء وهو من أحدث فروع القانون الدولي الحديث .

وفي ديسمبر ١٩٦٣ أصبحت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلاناً بإبادئه القانونية لنشاط الدول في استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي . ويحدد هذا الإعلان الأسس القانونية لنشاط الدولة في الفضاء الخارجي ، كما يصوغ مبدأ بالغ الأهمية للفضاء الكوني ينص على أن استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي سيجريان لصالح وخير الجنس البشري بأسره . وفي عام ١٩٦٦ وضعت اللجنة معاهدة حول المبادئ التي تحكم نشاط الدول في استكشاف واستخدام الفضاء الخارجي ، بما في ذلك القمر والأجرام السماوية الأخرى . وقد جرى توقيع هذه المعاهدة في ٢٧ يناير ١٩٦٧ . وفي حين تطور هذه الوثيقة وتعمق مواد إعلان ١٩٦٣ ، فقد أصبحت المعهود الفكري في نظام كامل للتسريع الدولي للفضاء الخارجي ، وحددت المسار لهعد من الاتفاقيات الدولية التي تحكم نشاط الدول في مجال الفضاء . وبعد ذلك بعام ، أعدت اللجنة مشروع اتفاق حول الفضاء واد الفضاء ، وعودة رجال الفضاء والأجرام الموضوعة في الفضاء الخارجي ، وقع في ٢٢ أبريل ١٩٦٨ .

وفي عام ١٩٧١ انتهت اللجنة من اعداد نص ميثاق حول المسؤولية الدولية عن الدمار الناجم عن معدات الفضاء والذي وقع في ٢٩ مارس ١٩٧٢ . وفي عام ١٩٧٤ قدمت اللجنة للجمعية العامة للأمم المتحدة نص ميثاق حول تسجيل المعدات والأجهزة الموضوعة في الفضاء الخارجي . ويهدف هذا الميثاق الى أن يستبدل كل النظام القائم لتسجيل إطلاق المعدات للفضاء على أساس المعلومات المقدمة من الدول بإرائتها الحرة بنظام التسجيل الإجباري لكل شيء يوضع في الفضاء في المدار حول الأرض أو في الفضاء الخارجي .

وتحتل مكانة أساسية في عمل اللجنة الفرعية القانونية ، في الوقت الحاضر ،

واللجنة لجنتان فرعيان ، لجنة فرعية قانونية ، ولجنة فرعية علمية وتكنولوجية ، وثلاث مجموعات عمل للتوابع الصناعية الملاحة ، واتصالات التلفزيون المباشرة باستخدام التوابع الصناعية ، والنحكم من بعد من الأرض عن طريق التوابع الصناعية .

وتعقد اللجنة ولجانها الفرعية كقاعدة ، دورة واحدة في السنة ، وتعقد مجموعات العمل التابعة لها اجتماعاتها في حالة الضرورة . وقد عقدت اللجنة أول اجتماع لها في مارس ١٩٦٢ . وتعقد اجتماعات اللجنة في المقر الرئيسي للأمم المتحدة في نيويورك .

ويتلخص اختصاصات اللجنة في دراسة خطوات تعزيز التعاون الدولي والنشاطات المتعلقة بالفضاء الخارجي واعداد الدراسات والأجراءات الضرورية حول تنفيذ برامج استخدام الفضاء الخارجي للأغراض السلمية ، الذي يمكن أن تشرف عليه الأمم المتحدة . وتهدف الإجراءات التي جانب أشياء أخرى ، الى الاستمرار في مساعدة أبحاث الفضاء الخارجي على أساس منظم ، والتبادل ذي النفع المتبادل للمعلومات الخاصة بأبحاث الفضاء الخارجي ونشرها ، وتعزيز البرامج العلمية والأبحاث القومية لاستكشاف الفضاء الخارجي والمساعدة في تطبيقها . كما أن هذه اللجنة مكلفة بدراسة المشاكل القانونية التي يحتمل أن يطرحها استكشاف الفضاء ، بالإضافة الى أنها تحصل على المعلومات التي تقدمها الدول التي تعمل في مجال استكشاف الفضاء بشكل اختياري ، وتحفظ بصلات مع المنظمات الدولية التي تعمل في استكشاف الفضاء الخارجي . وقد تلقت اللجنة ، وبخاصة منذ ١٩٦٢ ، بيانات من الحكومات والمنظمات الدولية حول الأجسام التي وضعت في المدار الخارجي ، وعلى أساس هذه البيانات تحتفظ إدارة الفضاء الخارجي التابعة لسكرتارية الأمم المتحدة بسجل لهذه المعلومات .

وقد قامت اللجنة بمساهمة كبيرة في دراسة المشاكل القانونية الخاصة باستكشاف الفضاء الخارجي . وتقوم اللجنة



## العلمية والتكنولوجية الفرعية •

ويلعب الاتحاد السوفيتي دوراً قسائياً في نشاطات اللجنة وهيئاتها • فلقد مهد الطريق لإعلان ١٩٦٣ ، ومعاهدة ١٩٦٧ ، واتفاقية ١٩٦٨ • وقام المندوبون السوفييت بدور نشيط في الاعداد للنصوص المراسيم القانونية والدولية التي أقرتها اللجنة وقدموا مساهمة كبيرة في صياغة موادها المعقدة • وفي عام ١٩٧١ اقترح الاتحاد السوفيتي مشروع معاهدة دولية حصول القمر وافقت اللجنة على كثير من موادها • ولا يزال الاقتراح السوفيتي حول اعداد ميثاق حول مبادئ استخدام الدول للتوابع الصناعية للاتصالات التليفزيونية المباشرة الذي قدم للامم المتحدة في عام ١٩٧٢ ، قيد الدراسة • كما ان مشروع المبادئ التي تحكم نشاط الدول في الرقابة الفضائية من يعد لاستكشاف موارد الارض بمساعدة تكنولوجيا الفضاء الذي اقترحه الاتحاد السوفيتي وفرنسا في اللجنة القانونية الفرعية في مايو ١٩٧٤ ، دفع بصورة كبيرة العمل في المشاكل القانونية الناجمة عن ظهور هذا النمط الجديد لتكنولوجيا الفضاء •

المشكلة القانونية المتعلقة بالاستخدام العملي لتكنولوجيا الفضاء • اذ تبتذل الجهود لاعداد مشروع المبادئ القانونية التي تحكم نشاطات الدول في استخدام التوابع الصناعية في اتصالات التليفزيون المباشرة واستكشاف الموارد الطبيعية للارض • كما يعد مشروع معاهدة حول القمر •

وخلال السنوات الاولى لوجودها كان نشاط اللجنة في المجال التكنيكي والعملي يقوم اساسا على نشر المعلومات عن أبحاث الفضاء ، وانشاء مناطق اختبار دولية لاطلاق معدات الفضاء في توميا ( الهند ) ومباردل لالتا ( الأرجنتين ) والاعداد مؤتمر الامم المتحدة حول أبحاث واستخدام الفضاء الخارجي علميا ، الذي عقد في فيينا في أغسطس ١٩٦٨ •

وتقدم هذه اللجنة الارشادات منذ ١٩٧٠ لتطبيق برنامج الامم المتحدة للاستخدام العملي لتكنولوجيا الفضاء الموجهة اساسا لاحتياجات البلاد النامية • وقد وضحت مؤخرأ اهمية مشاكل الرقابة من بعد ، والتي ستتم من الارض خلال التوابع الصناعية في نشاطات اللجنة ولجنتها



## **SOCIALIST STUDIES**

**AUGUST 1978**

## **MAIN SUBJECTS**

- An important Landmark.

- The working class in Greece.

- South Africa : revolution on an Upgrade.

- Isolation of Anti-communism.

- A creatively developing, revolutionary doctrine.

## **الاعداد للمهرجان الشباب العالمى**

فرقة الرقص الشعبى « بوليس » تؤدى  
رقصة اوكرانية .

## **س . راجسوارا راو :**

المكتبر العام للمجلس القومى  
للحزب الشيوعى الهندى .

## **يوسف دادو :**

- رئيس الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا .

## **جيمس ويست :**

- عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى فى الولايات المتحدة الامريكية .

## **انطونيس امباتيلوس :**

## **SPECIAL PART ON :**

Social thoughts of Ali Mubarak.

عضو المكتب السياسى للجنة  
المركزية للحزب الشيوعى اليونانى .

# دراسات اقتصادية

مجلة شهرية  
تصدر عن دار الهلال  
 بالتعاون مع مجلة  
السام والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة :

أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :

صبري أبوالمجد

رئيس التحرير :

إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية  
١٠٠ ملجم - عن الكميات الموسلة  
بالطائرة في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا  
في الأردن والعراق ١٢٠ فلسا  
- قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٥ عدداً  
في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد  
البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ  
في سائر أنحاء العالم ، ٥ ونصف دولار  
أو ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدماً القسم  
الاشتراكات بدار الهلال - في جمهورية  
مصر العربية والسودان بحواله بريديه  
في الخارج بتحويل أو شيك مصرفي  
قابل للمصرف في جمهورية مصر العربية  
والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد  
العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي  
والمسجل على الاسعار المحددة عند  
الطلب .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد  
عز العرب : القاهرة  
تليفون : ٢٠٦١٠ - عشرة خطوط ،



للـفـنـان: هـبـه عـنـايـت

● فرح الصعايدة ●